

France : 5

فرنك : 5

المطبعة الجديدة نهج المامونية — الرباط — وكيل المجلة : ابو بكر زنيبر

Juin 1934 Troisième Année — السنة الثالثة ربيع الانور عام ١٣٥٣





MAJALLAT EL MAGHRIB

تثقيفية عمرانية أدبية

مديرها ورئيس تحريرها : محمد الصالح ميسة

Rédaction et Administration
Immeuble Mathias
Rue Jules-Poivre — RABAT

Publicité :
Agence de Casablanca : 137, Avenue Mers Sultan

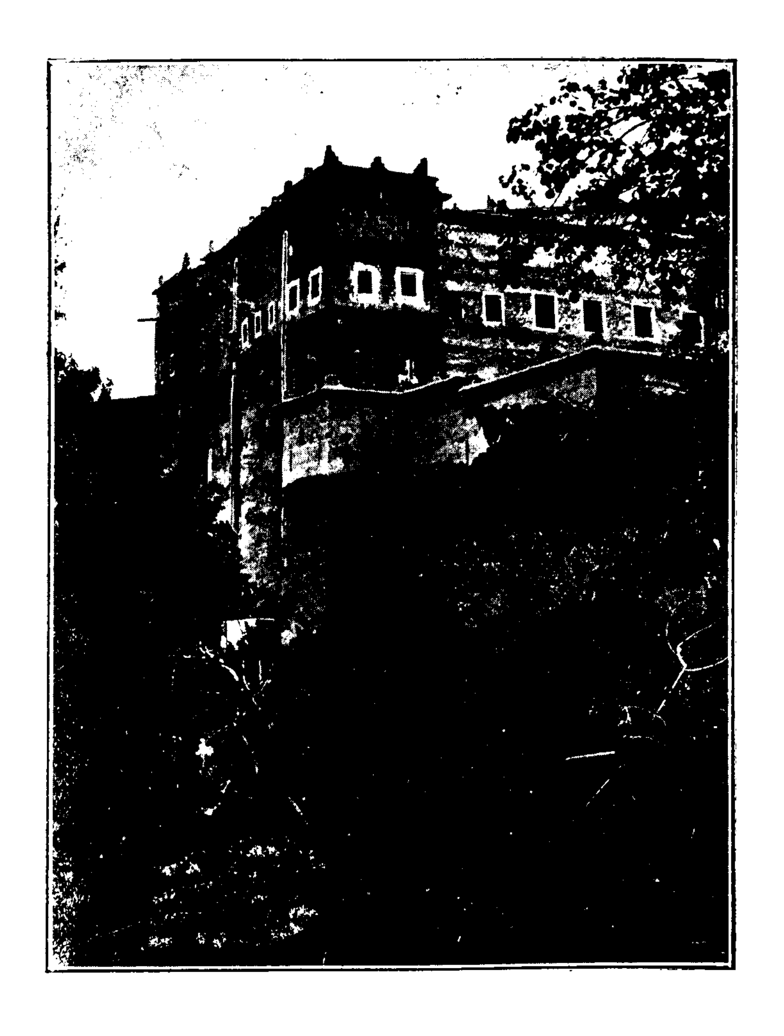
الادارة والتحرير
ملك ماتياس — نهج جول بوافر — بالرباط
الاعلانات: فرع الدار البيضاء ١٣٧ شارع مرس سلطان تلفون 03.70

Prix de l'Abonnement pour l'année :

Maroc, Algérie, Tunisie, Syrie :	60 frs
France et Colonies :	100 -
Etranger :	120 -

الاشتراك عن سنة

المغرب - الجزائر - تونس - سوريا	٦٠ فرنكا
فرنسا ومستعمراتها	١٠٠
الممالك الاجنبية	١٢٠



قصبة بالجنوب

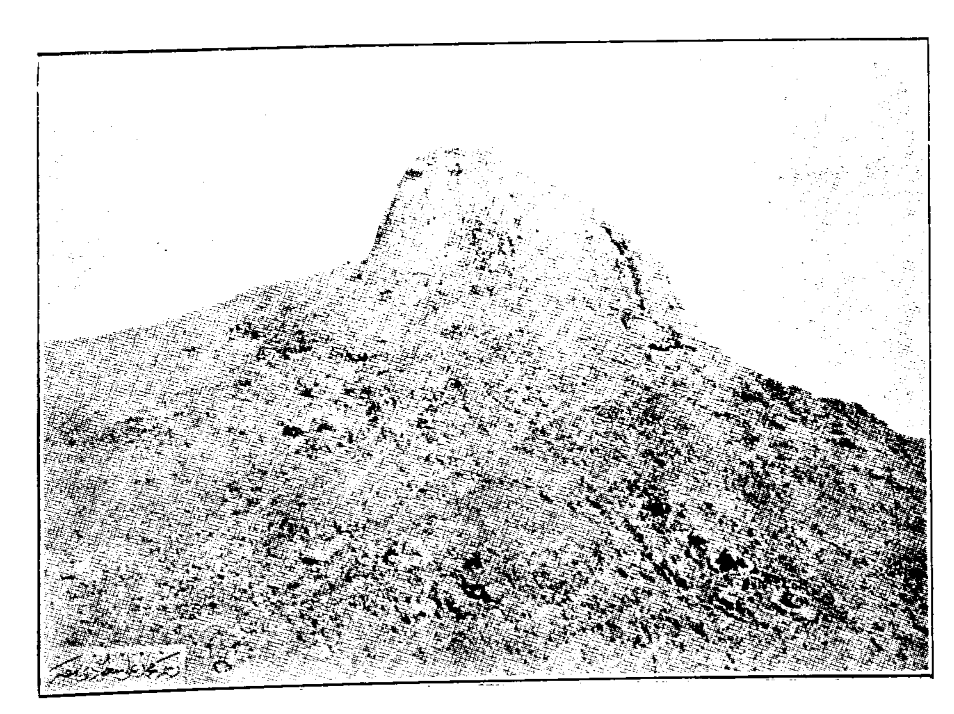


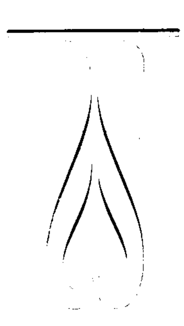
باب ساكمة بفاس

ذكرى مولد خير البشر

بمناسبة ربيع الانور

بقلم صاحب السعادة العلامة المصلح سيدي محمد الحجوي وزير المعارف بالايالة الشريفة





جبل غار حراء

جرت العادة باقامة الاحتفالات الهامة العامة لذكرى مولد نبينا العربي إمام المتقين وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر المبارك الذي بزغت فيه شمسه التي انارت العالم ، وكانت الرحمة المهداة لبني ءادم ، فازدهرت الفكرة البشرية ، وأتت بثمارها الزاهية ، وانقذ ءاباءنا من الضلالات ، وأكرمنا بانواع الكرامات .

لست من المتطرفين في تجنب البدع الى أبعد غاية تخرج بنا إلى اوغار افكار رجعية مناقضة للغاية التي جاءت السنة بها ، وهي ترقية النوع الانساني وتطور أحواله بتطور أزمانه ، حتى نصبح جامدين ونخالف سنة حركة الفلك ، فنقول ان السلف لم يجتمعوا لذكرى المولد ولا احتفلوا به ولا جعلوه عيداً فناخذ بفكرة ضيقة وتشديد غير سديد ، نعم إني أرى تجنب كل ما يناقض اصول الشريعة ، وكل بدعة تخرج عن مسنون صريح ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً أو نهياً أما ما لم يخالف نصاً ولا إجماعاً ولا جلي قياس وكان في احداثه مصلحة ظاهرة فلا بأس به ولا انكر على المسلمين عمله ولا اضيق مجالهم ولا اشوش عليهم ولا اقلقُ فكرهم بانكار لا قاطع يعضده ولا مفسدة تظهر فيما فعلوه مثل إقامة حفلة المولد النبوي التي فيها إظهار الاعتناء بجنابه الشريف الذي هو أحق بكل احتفاء واحتفال ، لما في ذلك من تثبيت قلوب المسلمين ، واحيائها بذكر منورها ومسرح نور الايمان فيها.

وان في ذلك من فوائد إثارة نور الايمان والاجتماع على ذكر مصباح الأكوان وإثارة حماسة الوجدان وغير ذلك من الفوائد التي لا ينكرها إلا من كان له غرض في طمس المعالم باستيلاء ران الغفلة والذهول على أفئدة الامة والهائها عن طريق رشدها وشغلها بالجدل البيزانطى فيما لا مضرة في فعله ولا مصلحة ولا قربة في تركه لا سيما وهناك بدع فاشية أحق بكل إنكار لمخالفتها لصريح القرآن تلبس بها المنكرون أنفسهم .

إني ممن يحب الاعتدال في كل شيء ولا سيما في الاحكام الشرعية التي لم نقف فيها على نص منع أو جواز ومعلوم أن الله لا يغفل ولا ينام ولا تاخذه سنة في سنّ الاحكام فما ترك النص فيها إلا ليترك لنا باب الاجتهاد مفتوحاً لنتطور فيه بتطور الازمان ونعمل بما يصلح الامة ويبلغ بها مستوى الامم الحية الراقية .

قد استولت الغفلات على قلوب الامة وأذهلتها عن رشدها دواعي الأكدار فلا باس أن نذكي في قلوبها محبة النبي المختار بذكرى مولده الذي بدت فيه أجل الانوار وتجلت علينا تجليات الاسرار غير أني أريد ذكرى أنوار ، لا ذكرى أغيار .

ليست ذكرى المولد الحقيقية هي الاجتماع وسرد قصة المولد الذي جازف فيها كثير من المؤلفين وأصحاب المولد بأخبار واهية هي الى الوضع والكذب أقرب منها الى الضعف ، ياليتهم اقتصروا على ما صح أو كان ضعيفاً لم يشذ ضعفه واندرج تحت أصل عام ولم يناقض أصلا صحيحاً ، حيث هذا من قبيل المناقب التي يغتفر فيها العمل بالضعيف بشروطه المعروفة لكنهم ذكروا ما لا سند له وما تلوح عليه علامات الوضع وزادوا وما كادوا .

ليست ذكرى المولد النبوي بالتي يقصد فيها التشبه بامم اخرى شعارها ذكر قصة المولد والقيام عند ذكر ولادة مريم لعيسى عليهما السلام لذلك لا أقول بالقيام لانه مع ذلك يناقض سنة صحيحة وهي حديث انس الذي رواه ثقات باسناد حسن صحيح ، لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك ، رواه الترمذي وغيره في أحاديث اخرى معلومة للمحدثين دالة على أخذه عليه السلام بخلق التواضع المنافي للقيام عند ذكره كما هو خلق الجبارين بسطنا ذلك في غير هذا .

ليست ذكرى المولد في جمع الاغنياء على ءالات اللهو والتفاخر أمامهم بالاطعمة المتعددة وهم في غنى عنها وفي دورهم مثلها أو أحسن منها .

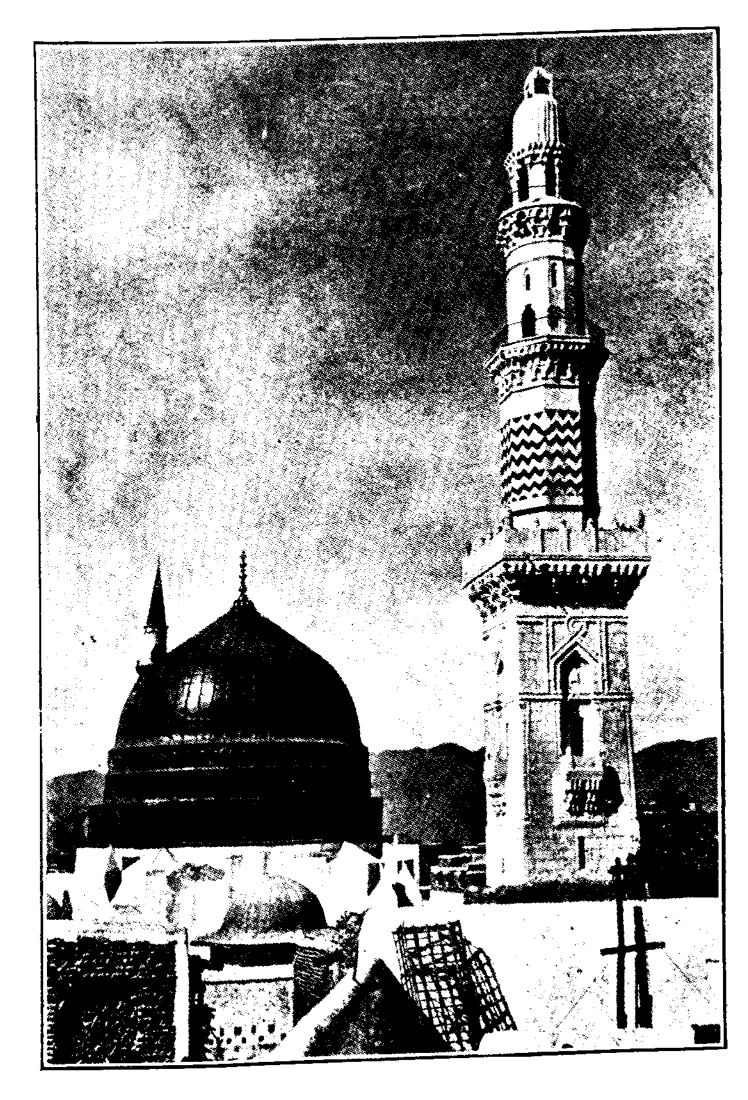
بل ذكرى المولد الشريف في نظري ينبغي أن تجعل درساً لاقتباس أنوار الاخلاق النبوية والتخلق بخلق الرحمة التي هي من أجل شمائله عليه السلام فيجتمع الناس مع بعض أهل العلم والعارفين بالسيرة النبوية والسنة الصحيحة فيسمعوا سيرته عليه الصلاة والسلام مبينة مختصرة وبعض تاريخ حياته المملوءة عظمة وجلالة وعظات وسياسات نافعة فيعلموا كيف تكون الامم الاسلامية وأساس تكوينها على مبدإ الاخلاق الكاملة والايمان الصميم والاعمال الخيرية والاحسان لبني الانسان بل وللحيوان وعمارة الأكوان بالقسط والعلم والحنان وهذا ما كنت أفعله في دروسي ليلة المولد الشريف وذلك أجل فائدة وأجمل غاية من سرد قصة المولد التي تكررت وعلمها الناس ، فالفائدة ذكر ملخص السيرة النبوية والشمائل المصطفوية أعظم ليعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله يدعو الى اليقين وليس معه إلا اليقين الذي يحمله قلبه الشريف الساري في جميع مشاعره الذي لا يحس معه بشيء يؤلمه ولو كان كيفما

كان سوى الشوق الى تكوين أُمة الهداية وتكوين الدعاية وتكوين حماية لتلك الدعاية ففعله وكون ذلك من نفسه ثم بانضمام زوجه خديجة اليه وإيمانها بمثل إيمانه ثم بأبي بكر ثم بمولاه زيد بن حارثة وهكذا وهو ثابت في مبداٍه على انفراده وتراً الى أن صار زوجاً وفرداً الى أن صار جماعة ثم أُمة .

وهكذا ينبغي أن يوقف المسلمون على سيرته صلى الله عليه وسلم ويكشف لهم عن حقائقها من غير أن تخلط بأوهام أو خيال بل بامعان النظر في حقائقها واستنتاج نتائجها والوقوف على ما قاساه مع قومه وذوي قرباه قبل الهجرة وما أصاب أتباعه القليلين من أنواع التضييق وألوان الهوان مدة ثلاثة عشر ربيعاً قبل الهجرة وهم صابرون محتسبون لا تزعزعهم عواصف الاستهزاء وصواعق الاضطهاد والعذاب وقصة الهجرة النبوية التي انتقل فيها الاسلام من ضغط الكفر والشرك الى فضاء التحرير وانتشار الدعوة ثم حمايتها وما نشأ عن ذلك من حروب دفاعية لحمايتها في مدة تسع سنين بعد الهجرة هيأ صلى الله عليه وسلم مائة جيش بين ما ذهب فيه بنفسه وهو ما يسمى الغزوة وما وجهه مع قواده وهو مايسمى البعوث والسرايا كون ذلك من لا شيء بل من الايمان وكله لحماية الدعاية ونشرها بالاقناع والبرهان .

وهذا وحده كاف لان يكون معجزة دالة على صدق الرسول مؤيدة لدعواه الرسالة .

على أن هناك ماهو أعظم منه وهو أخلاقه صلى الله عليه وسلم وسجاياه التي طبعه الله عليها من صبره وحلمه وعفوه عمن جهل عليه بل مقابلة الاساءة بالاحسان ، وكرمه وشجاعته ووفائه وأناته وثباته على مبداٍه الشريف ومكارم أخلاقه من بشاشة ورحمة بالضعيف والصغير وتوقير الكبير واغاثة الملهوف والاخذ بيد المظلوم والايثار بكل ما في يده للمعوزين وغير ذلك من مكارم الاخلاق التي طبعه الله عليها ولم توجد في غيره وكانت من أجل المعجزات الباهرات بعد القرآن الذي هو أجلها باطلاق ، لذلك قال تعلى : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» وقال عليه السلام : «إنما أنا رحمة مهداة» رواه الدارمي والبيهقي فهو صلى الله عليه وسلم الرحمة بكل معاني الكلمة لكل الامة ومعلوم أن أخلاقه صلى الله عليه وسلم والاخلاق التي جاء يدعو اليها لابد فيها من قانون الموازنة لئلا يعود الخير شراً فهو رحمة لمن يستحق الرحمة من اغاثة ضعيف وكاشباع جائع وكسوة عار واغاثة مظلوم ، ونقمة لمن وجب عليه حد يقيمه عليه



الضريح النبوي الشريف

لينتشر الامن وتستتب السكينة وتكمل مكارم الاخلاق وفي اقامة تلك الحدود رحمة أيضاً ظاهرة فنقمته عين الرحمة صلى الله عليه وسلم .

وعليه فينبغي لنا أن نجعل المولد النبوي احتفال رحمة وهداية نعلم فيه الجاهل ونعفو عن الجافي ونطعم الجائع ونكسي العاري ونرحم الضعفاء ونتفقد المنكوبين ونصل الارحام ونقوم بحق الايتام وننظر في أمرهم هل هم مكفولون كما ينبغي في طعامهم وكسوتهم وإيوائهم وتغذية أرواحهم بالتربية والتهذيب والتعليم حتى يكونوا مثل من لهم آباء أو هم متشردون مهملون تتكون منهم أُمة همجية تفسد علينا المجتمع وعلى أولادنا والجناية منا في اغفالهم .

ولقد كان سلفنا الذين سنوا الاحتفال بالمولد - ونعمت السنة - جعلوه حفلة خيرية لا حفلة زينة وترف .

فأول من عمله بالمغرب أبو العباس العزفي الذي كان هو وعائلته ولاة سبتة وتبعه فيه ملوك بني مرين بفاس وامراء بني زيان بتلمسان وبنو حفص بتونس ثم بنو وطاس ثم السعديون ثمَّ دولتنا العلوية خلد الله ملكها وأزكى أعمالها ، وكلهم كانوا قدس الله أرواحهم يتفقدون في هذا اليوم الفقراء والمساكين والايتام يطعمون ويكسون ويفيضون أنواع النعم على من لم يجد اليها سبيلا ويسرّحون المساجين ويعفون عن المذنبين ليدخلوا انواع المسرات على أصناف الامة شكراً لله على نعمة النبوة التي هدى بها الامة حتى يتساوى الكل في الاحتفال والفرح ولا يكون واحد يضحك وجاره يبكي وينتحب لخصاصة أو مهانة .

وهذا الذي يرتضيه منا نبي الرحمة الذي كان يؤثر المساكين على نفسه وعياله ، فلقد كانت الفتوحات تأتيه من القاصية وفيء العاصية فيفرقها على المحتاجين وذوي الاستحقاق ولا يخرج للصلاة حتى لا يترك شيئاً منها ببيته الشريف ، وما كان يرضى لأهل بيته وعشيرته الا الاقتصار على القدر الضروري من العيش وما زاد فلاهل الحاجة .

لقد جاءته بنته فاطمة البتول أعزّ الناس اليه تشتكي اليه ما تلقاه من تعب في طحن الرحا مع شغلها باولادها وحقوق زوجها فلم يعطها خادماً وكان عنده السبي وهي مستحقه له لانها من أصحاب الفيء فقال لها : ألاَ أدلكِ على خير من ذلك وهو ذكر تذكرينه كل يوم فدلها على الذكر لتشتغل بلذة الذكر عن ألم الرحا ويعطي الخادم لمن هو أُحوج .

ولو أننا كنا نذكر في مولده الشريف باب عيشه صلى الله عليه وسلم من الشمائل والشفاء لكان أنفع للامة لانه يدلها على الرحمة والحنان على الضعفاء والمحتاجين وعلى الايثار الذي هو الرابطة المتينة للامة ويدلها على ترك البذخ والسرف وعلى الاقتصاد وتفقد أحوال ذوي الحاجات والعاهات ، ولقد كانوا يمكثون في بيته الشريف الليالي ذوات العدد ما يستوقدون بنار إن هو الا التمر والماء ، ولقد مات صلى الله عليه وسلم وما شبع أهله من خبز الشعير يومين متواليين حتى لقي ربه وهم على ذلك يوثرون ذوي الحاجة وما رضي لهم أن يتوسعوا في الدنيا .

فباب عيشه صلى الله عليه وسلم يعلم الامة كيف تعيش العيش الذي تحيا به وبسيرته عليه السلام تعلم سهره على العدل بين أفراد الامة وتسوية القوي بالضعيف امام القرآن الشريف والشريعة السمحة وصون الحقوق أن يلعب بها جاهل أو مرتش أو مداهن .

وهذان الاصلان العدل والرحمة هما أقوى الروابط بين الامة ومنهما تتكون حلقات السلسلة المتينة التي تربط

قلوب الامة وتقوي أواصرها .

فإن الله لا يباهي بل ولا يبالي بامة لا تعدل خاصتها في عامتها ولا يرحم قويها ضعيفها ولا يتصور عاقل تضامن أمة ووحدتها دون هذين الاصلين فبهما وحدهما تتحقق روابط الامة وتأتلف قلوبها وتتحقق الثمرة المنتظرة من قوله تعلى : « انما المومنون اخوة » .

فكيف يكون الغني يتجشى شبعاً ويحتسي الصودا وأخوه بجانبه تتضور صبيانه جوعاً وعريا وامراضاً حسية لا يهتدي للدواء ولا يجد للطبيب سبيلا - ولهذا شرعت العيادة في الاسلام - ويتجرع مرارة المرض الاكبر المعنوي الذي هو الجهل وعدم التربية واهمال أولاده في الازقة تائهين هذا الذي بدّد حلقات اتصال الامة وبه تأصل فيها داء الفرقة في القلوب الذي نعزوه الى اشتقاق اسم أفريقية ظلماً وليس من سبب سوى انتزاع الرحمة من القلوب فهو الذي أصل فينا ذلك الداء العضال الذي لا علاج له الا بالرحمة .

اخواني : كيف نجتمع أو نتفق وهذا جائع لايقدر على النهوض وذاك شبعان حتى لا يقدر على الحركة يحتفل بالعيد ولبس الجديد والطيب الفائح والشرب اللذيذ ، وهذا مظلوم وحقه مهضوم بجانب ظالمه المتمتع بماله المسلوب كأنه متشف منه أو بجانب من هو قادر على انصافه ساكت لا يلتفت اليه ولا يتألم لألمه ما دام حقه مصونا .

فرابطة الامة الحقيقية هي الرحمة وحنان القلوب والحب ، ولهذا أرسل الله لنا رسول الرحمة ووصفه بقوله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » وأمرنا بقوله : « وتعاونوا على البر والتقوى » ووصف المومنين بقوله : « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » وقال عليه السلام : من لا يرحم لا يرحم ، وقال : الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ، وقال : انما أنا رحمة مهداة .

اخواني : إنني اقترح على الامة الاسلامية أن تقتصد يوم عيد المولد نصف نفقتها فتترك الحلوى مثلا وتقتصر على متوسط الانفاق وكل دار تجعل صحفة كسكس مثلا على قدر حالها ليشارك كل الناس في العيد والفرح بالمولد فهذا يطعم جاره ومن لم يكن له جار ضعيف ارسل لملجإ الجمعية الخيرية أو لباب مولاي ابراهيم ومولاي المكي بالرباط أو لبوطويل وكرواوة بفاس أو لسيدي بلعباس وكل ساباط بمراكش أو لدار مولاي عبد الله ابن أحمد بمكناس فهذا هو الاحتفال الحقيقي للعيد النبوي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .



الاستاذ الحجوي

المؤسسات الخيرية

ضريبة لفائدة الفقراء

كنا طلبنا انشاء ضريبة على اللحم لفائدة الفقراء ، وقد صدر في ذلك ظهير شريف نثبت هنا نصه شاكرين للحكومة اعتناءها وعطفها على الجمعيات الخيرية شكراً جزيلا :

« ان عدداً من الجماعات الاسلامية بمدن مملكتنا الشريفة كانت تقوم طبق العوائد المالوفة ببعض الصوائر والنفقات لمنفعة الجمعيات الخيرية وذلك بصفة أداآت زائدة مستخلصة عن الحيوانات المذبوحة التي يستهلكها رعايانا المسلمون في المدن ، على أن المصاعب المادية الناجمة عن الازمة الحاضرة والتي يتحملها الاشخاص الاشد عوزاً وفاقة من تلك الجماعات اما في البوادي واما في المدن قد حملت الحكومة على أن تعمم وتنظم بوقت واحد تأسيس الاداآت الزائدة المشار اليها ، ذلك هو الغرض من ظهيرنا الشريف هذا :

« يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي :

الفصل الاول — ان قائمة الاداآت والضرائب المرخص باستخلاصها في الدوائر الكائنة بها بلديات أو الخالية منها بمملكتنا السعيدة بموجب الظهيرين الشريفين المؤرخين في ٣ جمادى الثانية ١٣٣٥ الموافق ٢٧ مارس ١٩١٧ وفي ٢٩ رجب ١٣٤١ الموافق ١٨ مارس ١٩٢٣ تتمم (أي تلك القائمة) وذلك بان تضاف اليها الاداآت الزائدة التي يجوز للباشوات والقواد توظيفها لحاجة الجمعيات الخيرية الاسلامية على الحيوانات المذبوحة التي يستهلكها المسلمون .

الفصل الثاني — سيعين وزيرنا الصدر الاعظم الشروط التي بموجبها يخصص بالجمعيات أو المؤسسات العمومية أو الخصوصية المكلفة بالاعمال الخيرية المنطبقة على رعايانا المسلمين ما يتحصل من الاداآت الزائدة المستخلصة عما ذكر بواسطة أعوان البلديات أو أعوان الدولة والسلام .

وحرر بالرباط في ١٣ محرم عام ١٣٥٣ الموافق ٢٧ ابريل سنة ١٩٣٤ . »

— ملاحظات —

ان القلم هذا قد سطر مقالاً حول الجمعية الخيرية الرباطية وأبرده للمجلة فلم يساعده الحظ على النشر بما أن نظيره سد فراغه ، ومن جملة ما كان خطه القلم هناك ما يلي : وما الدواء الناجع لداء ما نرى من كثرة المتشردين والبؤساء المنتشرين في الاسواق والدروب يتأففون من ألم العرى والجوع باصوات باحة تنفطر لها أكباد القساة فأنى بارقاء القلوب والعواطف سوى أن تعمل الحكومة المغربية خدمتها الطريفة في جمع المتقاطرين على المدن والقرى من سائر النواحي وتوجيههم حالا كل الى طرفه المنتسب اليه وبعد أن تأمر السلطة العلية كل نوابها وقوادها أن يحتفظوا بمساكين جهاتهم بوضع خيام وملاجئ تؤويهم ، وبالفعل فقد شاهدنا بعض المدن في الظروف الحاضرة جادة في تكوين ملاجئها كجارتنا سلا المحبوبة وحمراء الجنوب الاثرية كلل الله مساعي الجميع بعاطر النجاح ، وبذلك يتسنى لجماعة البر والاحسان أن تطرق أسهل السبل الممكن تتابعها بنظام واعتدال وأنبهها كما هو من الواجب المتحتم عليها أدباً وأنسانية أن تغتنم فرصة يومين في السنة : يوم عيد الاضحى فتقوم عاملة جهودها الطريفة حول جلب جلود الضحايا بل ومصارينها (ويا ما أبردها على كبد اربابها) وقد أشرت لذلك سنة ١٣٥٢ بواسطة الصحافة بيد أن الفكرة لم تنضج كما أملنا والعاقبة للاتي ، واليوم العاشر من المحرم فيلزم رجالها العملة ومكلفيها أن يشمروا لجمع الزكوات اثناء دعاية تنشر قبل بايام ، وبهذا ونوعه كانشاء حفلات خيرية يقوم بها رجال الكشافة والرياضة أو ابناء المدارس يخصص ريعها للخيرية ، والكاتب مستعد للخدمة من الصميم ، تنمو مالية الخيرية وتبرز في طور منشود من أطوار التقدم ، واذ ذاك نبصر اخواننا المنكوبين في سائر المدن والاطراف رافلين في حالة طالما دفعتنا العواطف الانسانية لتمنيها وانتظارها بفارغ الصبر ، أضف الى ذلك ما اذا مد المخزن الشريف يد المساعدة نحو الجمعية باغداق اسعافه الميمون عليها كما هو الواقع اذ نجاح ذه المشروعات هو وليد التعاضد المادي والمساعدة الفعليه ولا نقف هنا بل نرفع اصواتنا الحارة جهة كل من يجد سعة من نفسه ويهمه التنافس في مسالك البر والاحسان أن يشارك في هذا الميدان الانساني راجياً قصب السبق وأكرم به .

بادر الى أي معروف هممت به
فليس في كل وقت يمكن الكرم
كم مانع نفسه امضاء مكرمة
عند التمكن حتى عاقه العدم

وباشباه هاته الفكرة تمضي الخيريات في اعمالها المشكورة لا ما يقلق راحتها ساعتئذ واقفة حجر عثرة في طريق المغرضين الذين لا يهمهم من الحياة سوى نفاق الشخصيات والاشتغال بالخياليات والوهميات .

هذ ومما جره القلم في الكلمة المشار اليها طروق باب الرياضة مما أستسمح القارئ وقته في العود اليه بزيادة تلبية للمجلة فأقول : لا يجهل ما للرياضة المراد منها تمرين الجسم وتدريبه على الحركات من النتائج ، فانها الفن الوحيد لتسهيل نمو الجسم ومنع قوته من كل ما يردي ، فلذلك نرى قدماء اليونان قد اعتنوا به عنايتهم الكبرى حتي جعلوه القسم الثالث من التربية بعد الاجرومية والموسيقي ، وأسسوا له أبنية فخمة وقصدهم الفذ : تقوية اجساد الافراد ليستمدوا منها جيشاً جريئاً ، ثم بعد انحطاط دولتي اليونان والرومان جاءت امة العرب وأنت بالمدهش في الفن حتى أصبحت المثل الاعلى في ضروب من الرياضة كالعدو والسباق على الاقدام والخيول والرماية المصيبة والمصارعة والملاكمة والقفز الفائق حتى السباحة فانه فعلها أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم ككل ما سبق بل حرض عى فعل ذلك قولا عليه الصلاة والسلام ، ثم بعد ما كانت القرون الوسطى اهملت الرياضة وانقلبت الى فن التمرن على الضرب بالسيف والشيش — أظنها قضبانا من حديد كالنبال يرمى بها — ، ثم حيي هذا الفن عند بعض الامم وخصوصاً الامة الانجليزية والالمانية وحصل على أنصار كبار وضعوا له تعريفاً يقرب أن يكون قريضاً قالوا : هو علم الحركات وعلاقتها بالحواس والعقل والعواطف والطبائع ونمو سائر الخصائص البشرية جسمية كانت أو روحية ، وهو يحتوي على كل الرياضات البدنية الصالحة لان تجعل الانسان اجرأ وأزكى وأحسن وأقوى وأشد نشاطاً وليناً وأحق مما كان عليه ذي قبل ، وتلك الرياضات قادرة على تهيئته لمقاومة تقلبات الفصول والاقطار متحملا الحرمان من الحاجات منقاداً لشدائد الحياة مذللاً المصاعب كلها متغلباً على المخاطر والشظف مؤدياً خدمات جليلة لامته وبني نوعه (كما نشاهد شيئاً من هذا في الشباب الكشاف كلل مسعاه بالنجاح) — وقد أشرت لهذا المعنى في مطبوع لي — وذاك ما يدفعنا لكشف الغاية من هذا الفن المضاع التي هي ، المنفعة العامة والسماح بتضحية كل نفيس على بطولة النفس في سبيل الهيئة الاجتماعية والسعي في امتداد العمر (وهو محدود) واكتساب القوة المنشودة والغنى عن الفرد والمجموع بعد التحصيل على الثمرة المحسوسة ثمرة العافية (التي هي تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى) وأنت خبير أن لكل هذا حقيقة جلية : فان البدن حيثما كان لا يكاد ينفك عن الالة في ناحية ضرورة أن تكون نتيجة خموله وسكون أعضائه هي عين النتيجة التي تطرأ على كل آلة تركت هادئة من دون عمل ، وأيضاً فالماء الذي لا يتحرك ولا يضطرب يصبح آسناً ، قال خالد بن صفوان : انما اللسان عضو اذا مرنته مرن واذا أهملته خار كاليد التي تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبه والرجل اذا عودت المشي مشت .

وفي الواقع الذي ليس له من دافع : ان عظماء الرجال انما هم عظماء لكونهم يناضلون ويكافحون ويجاهدون ويغامرون بحياتهم نعم لا يستبين هذ المداول ويبرز للعيان محسوساً في معترك الحياة الا عن فائدة الجيمناستيك ، فلننهض مريدي الحياة لا فظين الكسل والخمول تحت ظل التقاليد العمياء ولنلبس حلة مزيجة قديماً وحديثاً ولنحمل عليها فلذ أكبادنا (رجال المستقبل) ولنمرنهم على عبور جعفر الرياضة الفقيدة ولنلق بهم الى اجواء الطبيعة وهوائها الطلق حتى لا يعمل فيهم الفتور اعماله كما يجب علينا سلوك امثال هذا صوب ابناء الملاجئ الاسلامية المحبوبة بحملهم على الالعاب الصالحة لا جسادهم الضعيفة الواجب على كل مسلم العمل وراء معالجتها لما له من الوصاية العامة المشتركة الملزوم بها من لدن شريعته المقدسة والعطف الانساني ، وما كان اجدر هاته الرياضة بطلاب العلم والمدارس اخص منهم طلبة المساجد وحفاظ الكتاب العزيز طبق الحكمة المقررة : العقل السليم في الجسم السليم ، فللرياضة التاثير الوحيد والفائدة الكبرى لذوي الاشغال العقلية كالتصنيف والمطالعة والتدبر في المعاني وللنظم والنثر فان الدأب على شغل واحد موجب للضجر وضيق الصدر كما يقول الدمشقي في كتابه جوامع الاداب في اخلاق الانجاب ثم لا ينبغي ان يحمل النحفاء اليأس وتوهمهم عدم قبولهم للنمو على ترك الاجتهاد والتمرن فلكم من ضعيف اكتسب القوة

الهائلة بعنايته بالتمرن والاخذ باسبابه والتمسك بها كما اثبته التجارب وتسهيلا على الواحد منا اذا لم يستطع تقليد الغير في لعب الكرة او غيرها إما عادة وإما أدباً مع قول المساري:

ولعب الكرة ليس مذهب اذ . . .

فلا أقل من ان يخصص لنفسه ظرفاً من الزمان يقفه لنوع من الرياضة في غرفته تجاه هواء طلق بان يرفع ذراعيه الى أعلى ثم ينزلهما الى اسفل بانتظام مراراً ثم يبسطهما الى الامام ثم الى الجانبين ثم يرفع احدى رجليه ممتدة حتى تكون محاذية لسطح الارض مع التكلف في وضع جسمه وضعاً عمودياً في اثناء تلك الحركة، وان يحاول ثني جسمه ثم رفعه بنظام وثبات وهذا فيما يرجع لأخدام الجسم فرداً بدون وساطة ويعرف بالرياضة البسيطة، وهناك قسم آخر يعرف بالرياضة الادوية، وأشهر ادوات الرياضة واكثرها استعمالا هي (١) المدقة المستطيلة وهي اداة من خشب كالمدقة يحركها اللاعب بيده يميناً وشمالاً الى الامام والوراء ويديرها حول ذراعيه دورة رحوية أو نحو ذلك (٢) القبضة المزدوجة وهي عبارة عن عصوين قصيرتين بشكل قبضة السيف تتصلان برباط متين يتجاذبان اثنان او اكثر (٣) السلم وهو يستخدم لتمرين عضلات الذراعين أو الساقين تسلقاً بالذراعين أو الساقين (٤) الكرة المزدوجة وهي زوجان يرفعان باليدين ويداران على كيفيات مختلفة (٥) القضبان ذات الكرات وهي من حديد تنتهي اطرافها بكرات حديدية وترفع باليدين ثم تدار الى ذات اليمين وذات اليسار والى الامام والوراء (٦) الارجوحة وهي عارضة من خشب يشد طرفاها بحبلين معلقين ويلعب عليها برفع الجسد بيد او يدين ثم خفضه ثم احنائه تارة الى الامام وطوراً الى الوراء (انظر الجزء الثالث من الطريقة المبتكرة التعليم القراءة العربية تأليف الاستاذ ابراهيم زيدان) فلقد تكلم على الرياضتين بتفصيل واثبت صور الثانية عملياً تقريباً على الراغب والكل راغب، فارجع اليها مستمراً على الرياضة ولو نصف ساعة كل يوم طول حياتك، فلذلك تأثير كبير على الصحة حسن كما أن للعكس تأثيراً عليها سيئاً وهنا انبهك أخي لأحسن اوقات الرياضة، ان انفع اوقات الرياضة الصباح فان الهواء وقتئذ جاف ونقي وقوى الجسم أشد كما يجب تجنب الرياضة الشاقة قبل اكلة مستوفاة أو على أثرها ولا بد أن تكون في الهواء النقي كما سلف التلميح اليه، وفي نور الشمس فان تأثيره في الانسان مثله في النبات سيما لدارس العلم فانه يتأكد له رياضة في النهار لا في المساء للفائدة المسطورة وهاكذا ينبغي أن يهتم النساء مثل اهتمام الرجال بالرياضة الجسدية وأعظم كي تتضاعف الفوائد وتشترك بين الجنسين وتكون الاجنة اقوياء قوة مضاعفة كما قال الدمشقي في أخلاق الانجاب.

ولا باس ان أوردت ذه الكلمة ختاماً لما لها من التعلق بالموضوع، ذاك أنه يتحتم علينا قبل كل هذا ان نسعى طاقتنا بتربية ارواحنا على الاخلاق الفاضلة وترويضها على الاداب الحميدة خصوصاً ءاداب القرآن وخلقه التي كانت هجيراه عليه الصلاة والسلام.

فروض نفسك الاداب واسلك

طريق محمد فهو القويم

فيتأكد أولا على كل فرد منا أن يعمل على تنمية روحه وتغذيتها التغذية الكاملة ويرويها من معين المكارم الفاخرة باعثاً لها على التحلي بشريف المحامد وجليل الصفات « فأنت بالنفس لا بالجسم انسان » فان الاخلاق المحور الذي يدور عليه كل شيء بل المساعد الاكبر على ما نبتغيه من نهوض وتحسين ورغم ذلك مما يدعنا نقضي كل العجب ان نبذناها وراءنا ظهريا حتى استفحل فينا داء الشدة والغلظة وتفشت فينا الانانية والعجرفة والكراهية لاخواننا عوض ان نضحي بنفسنا حول المحافظة على قداسة الاخلاق الاسلامية والتشبع من تعاليمها الحية الطاهرة والتشبث باذيالها البيضاء والجهاد الصادق اثناء انشاء دروس تهذيبية تروي غلتنا وتزيل ما ساد على الافكار من حب النفس والعمل وراء شخصياتها وشهواتها وتقضي على كل تلك الجراثيم القتالة التي أصبحنا بها نعثر خجلاً امام تلك الامم التي ليس عليها من فضل سوى فضل امة العروبة الكريمة ألا نتلو دستورنا الكريم ألا نتمعن في آي الذكر الحكيم: وقولوا للناس حسناً، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى، والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر، الكتاب الكتاب.

الله أكبر ان دين محمد
وكتابه اقوى وأقوم قيلا
لا تذكروا الكتب السوالف عنده
جاءَ الصباح فأطفأ القنديلا

الجراري

— الاحباس —

توصلنا من الاحباس بالبلاغات التالية :

لا يخفى ان للاحباس السدس من الاملاك المتخلفة عن المرحوم السيد احمد بناني وقد حازت أخيراً هذ السدس بعد خصام مع الورثة كان الحكم فيه لجانب الاحباس.

ومما يتحصل من كراء الحظ المذكور وقدره ١٢٠.٠٠٠ فرنك في السنة تعين ٣٥٠ عائلة من الرباط تقبض كل واحدة منها ٢٥ أو ٣٠ فرنكا شهرياً على حسب درجتها في الحاجة ، الامر الذي يخفف من تكاليف الجمعية الخيرية التي يمكن لها بسبب ذلك مواساة مساكين ءاخرين.

ثم انه يوجد بالرباط عدد من الاحباس المعينة لخبز الضعفاء وهاته الاحباس في أيدي اولاد المحبسين عادةً وهم القائمون تحت اشراف مراقب من قبل وزارة الاحباس بتفريق الخبز طبق ارادة الواقفين ، وفي كل عام يوزع من الخبز والكسوة ما يزيد على ١٥٠.٠٠٠ فرنك ويسبق في ذلك المحتاجون من الاقارب امتثالا للفظ المحبس.

وعلى هذا فما تقوم به الاحباس في سبيل الاحسان مع ما تقوم به الجمعية الخيرية وأيضاً البلدية التي أحدثت ورشات اسعافية يعين كثيراً على معالجة الفاقة المنتشرة بين أهالي الربط وتخفيف البطالة التي لحقت العملة منذ انتهاء الاشغال الكبيرة.

***

في يوم السبت ١٩ مايو ١٩٣٤ وقعت بالدار البيضاء سمسرة المناقصة لاجل بناء القسم الاول من الجامع الجديد بالمدينة الحبسية ثمة الذي سيعرف باسم جامع سيدي محمد بن يوسف فنزلت على المعلمين البنائين الحاج محمد بنعمر من سلا والسنتيسي من مكناس وعباد من فاس بفرنك ٦٦٩.٠٠٠ كما اجريت ايضا في مثل هذا التاريخ اولا — سمسرة بناء مياضي هذا الجامع وكذلك عدة دور بجواره — وثانياً بناء جامع صغير بسطات واصلاح المسجد الاعظم بها الذي عاين جناب وزير الاحباس افتقاره للاصلاح لدى مروره بهاته المدينة أخيرا — ثالثاً بناء حوانيت بفضالة وستعلن سمسرة بناء جامع باب الفتوح بفاس في محل المسجد الموجود الان والذي يضيق بكثرة المصلين وكذلك توسعة جامع وجدة تلبية لرغبة الجماعة الاسلامية هنالك.

ومن جهة اخرى فان بناء قسم اول من حومة المرس بمكناس مشتمل على عدة دور رخيصة الكراء للاهالي الان تحت المباشرة وربما تعلن سمسرة ذلك في بحر شهر يونيو عامه.

ويحسن هنا الفات النظر الى ان مختلف الاعمال الجديدة وكذلك الاعمال الاصلاحية العديدة التي يشرع فيها جانب الاحباس كل يوم في جميع المدن يشتغل فيها كثير من المعلمين والعملة الاهليين في مختلف اشغال الاحباس الان يزيد على ألف ما بين بنائين وجباسين ونجارين وزلايجيين وخدمة وغيرهم الامر الذي من شانه تقليل البطالة في حرفة البناء.

***

يوم السبت ٢ يونيو ١٩٣٤ اجريت بفاس سمسرة المناقصة لبناء مسجد باب الفتوح فنزلت على المعلمين السيد محمد الزاز والسيد عبد الكريم والسيد احمد بن مخلوف بفرنكات ٢٣٠.٠٠٠.

وكذلك في ٣ يونيو نزلت سمسرة توسيع الجامع وبناء مدرسة بوجدة على المعلم التطواني ومن معه بفرنكات ٢٠٨.٠٠٠.

وسيقع الشروع في هاته الاشغال بمجرد مصادقة وزارة الاحباس على تفارير السمسرة.

ويجدر بالذكر ان حمام عباد بفاس قد تم تجديده وسيسلم للكراء عما قريب.

***

الصويرة — لما هاجت ازمة العالم ولم تبق أرض الا وخيمت فيها وبلغ مغربنا العزيز حظه منها فظن الناس أنها سحابة صيف لا تلبث أن تنفرج ولم يحسب الناس أنها ستكون في زيادة مستمرة مع الايام وكان الناس يردون هجماتها بالصبر والثبات حتى فرغ الصبر فأسسوا جمعيات خيرية لتخفيف آلام اخوانهم في الدين والانسانية الذين يموتون جوعاً ينامون في أبواب الاضرحة فراشهم التراب وغطاءهم السحاب وكانت مصائب هذه الازمة تتفاوت بحسب النواحي والبلدان فلا شك أنها أشد ضيقاً في الجنوب من الشمال لان الشمال معلوم بكثرة فلاحته وغزير أمطاره بخلاف الجنوب الذي توجد فيه صويرتنا التي هي فقيرة بالنسبة لغيرها من بقية المدن المغربية وسكانها من قديم معروفون في جميع انحاء الايالة الشريفة بضعفهم وقلة ثروتهم رغم كونها كانت باب سوس يرد عليها جميع ما يستهلك به من سكر وقماش وغيرهما ويصدر منها للخارج ما يأتي من داخل سوس فكاد فتح مدينة أجادير للتجارة أن يقضي عليها القضاء المبرم لولا هواؤها العذب ومناخها المعتدل حيث يقصدها العدد الكثير من الزوار وقتي الشتاء والمصيف غير أن المسغبة اشتدت في السنين الاخيرة بقلة الامطار وكساد الصناعة الوطنية فما مررت بشارع الا وجدت عدداً كبيراً لا يقدر أن ينظرهم من بقلبه أدنى شفقة يقطعون الطريق على الانسان بالحاحهم في السؤال ووجوههم مصفرة كأنهم نشروا من القبور وكما ترى فرقة اخرى ممن تقلبوا في النعم وخانهم الزمان يمسكون اليومين والثلاثة من عدم ما يسدون به رمقهم ولا يستطيعون السؤال لما كان لهم من العز والرفعة وخانهم الزمان أبو العجائب الذي لا يدوم على حال ولما رأى ذلك بعض من رجال الشفقة من أهل هذه المدينة وهالهم ما هم عليه اخوانهم من المحنة والعذاب وكان في مقدمتهم سعادة الباشا الغيور المحسن الكبير سيدي محمد المجبود فعرض ما هو واقع على سعادة رئيس الناحية المحترم المسيو فيهال واتفق معه على انشاء جمعية خيرية لتنقص من شقاء من ذكر وفعلا وقع اجتماع بمسجد سيدي أحمد محمد من شرفاء البلد وعلمائها وأعيانها وتجارها وتذاكروا في تاسيس جمعية خيرية واختاروا من بينهم هيأة تنوب عنهم في جعل قانون للجمعية وتسييرها وفق المرغوب فوقع انتخاب السادات الآتي ذكرهم : الرئيس الباشا الهمام السيد محمد المجبود ، خليفة الرئيس السيد احمد بن الهاشمي خليفة الباشا ، المستشار العام مسيو فيهال رئيس الناحية ، المستشار الفني مسيو دوبيرار رئيس ادارة البلدية ، صاحب الصندوق السيد عمر البونجيمي ، خليفته السيد الحبيب الفرخسي ، الكاتب العام السيد عبد النبي النجار ، خليفته السيد الحاج عبد الرحمن بن عماره و ١١ أعضاء من الاعيان .

وفعلاً اسست الجمعية وعرض قانونها على الحكومة فصادقت عليه واجتمع اعضاء الجمعية لطلب فندق المساكين ليتخذوه ملجأ للضعفاء كما كان قبل فوجدوا أن ادارة الاحباس قررت معاوضته مع بعض الناس فتعرضت الجمعية على تفويت المحل المذكور حتى جعلت الاحباس مدرسة سيدي يوسف تحت تصرف الجمعية مجانا وعشرة آلاف فرنك اعانة على اصلاحها فقامت جمعيتنا على ساق الجد وفتحت اكتتابا عاماً اشترك فيه جميع السكان لا فرق بين الاروبي والوطني وخصوصاً من الحكام المحليين الذين بذلوا كل ما في وسعهم لارضاء هذه الجمعية ، ولما تم اصلاح الملجأ المذكور وقع اجتماع عام بالمراقبة المدنية وتقررت ميزانية الجمعية للسنة الجارية ثم فتح الملجأ بحضور حكام البلد .

وتتركب مدخولات الجمعية من الصدقات والتبرعات والاشتراك الشهري واعانة البلدية كما أنها طلبت اعانة سنوية من الحبس صانه الله واعانة من الحكومة كما أن فلاحي المدينة دفعوا نصيبا من عشر فلاحتهم في السنة الماضية وسيدفع كذلك الاغنياء نصيباً من الزكاة للجمعية ، وفق الله الجميع الى ما فيه الخير والصلاح .

الفصحى والعامية

لنْ يقع بتٌّ في قضية الفصحى والعامية الى زمن بعيد وستبقى ابواب البحث فيها مفتحة المصراعين الى ما شاء الله ، ولذلك فاننا سنعرض على القراء بعض الآراء في المسألة حتى يكونوا على بينة مما آلت اليه الآن وإنا لنرجو من الادباء من بينهم أن يواصلونا بما لديهم من الآراء فيها بشرط ان تكون طريفة وبشرط الا تدور مقالاتهم حول تلك الفكرة « المعلومة من الدين بالضرورة » من كون اللغة العربية لغة عظيمة واسعة الجوانب فيها ما يكفيها من الالفاظ والمعاني فلا تحتاج الى شيء وانها لغة الدين والوطن وأنها وأنها الخ لان الضرب على مثل هذا الوتر انما ينبؤنا بأن صاحبه لا يقدر على ابتكار ادنى شيء جديد وأن ما يدعيه انما هو من باب « السماء فوقنا » ـ كما يقال في القرويين ـ وأنه يجهل تمام الجهل ان اللغة العربية قبل الاسلام غيرها بعده وأنها في أيام البعثة النبوية غيرها في أيام الدولة العباسية حين فتحت أبوابها لمترجمات الفرس واليونان وأنها قبل توسيع نطاق الفقه الاسلامي وعلم الكلام وما الى ذلك من الجدالات والمناقشات الكلامية والمنطقية غيرها بعده وأنه يجهل تمام الجهل أن عربية طرفة وقس بن ساعدة ماكانت لتكفي للمفاهمة الاسلامية العالمية لو بقيت كما كانت في الجاهلية بل أنها بفضل القرآن وعلوم الفقه والكلام والتصوف وما تبع ذلك من دخول بعض الالفاظ الفارسية واليونانية والهندية والعامية (بغداد والشام على الاخصّ) أصبحت لغة عالمية.

***

تقدّم للقراء ان اطلعوا على رأي الدكتور طه حسين والاستاذ العقاد في جريدة « السعادة » نقلا عن بعض الجرائد المصرية وانا سنعرض عليهم الآن رأيين للاستاذ تيمور والاستاذ طاهر الطناحي ، فقد عرض الاول آراءه في المسألة في بحث نفيس قدّمه لمؤتمر المستشرقين الذي عقد بليدن (هولاندة) سنة ١٩٣١ عن النزاع بين العامية والفصحى في الادب العصري الحديث وكانما كان البحث جواباً عن المسألة الاتية : أيكتب النصر للغة الفصحى لغة الكتابة ؟ أم تفوز اللغة العامية لغة الكلام ؟ وهو يجيب عن ذلك : « ان لغة المستقبل ستكون هي اللغة العامية الحديثة التي ستصير لغة المكاتبات الرسمية والحديث الشفويّ بينما تظلّ اللغة الفصحى كما كانت لغة الكتابة في سائر البلاد العربية[1] » ومما يدل على ما يدعيه هو أن المكاتبات الرسمية في كثير من البلاد العربية قلما تكون من الفصحى في شيء بل هي أقرب الى العامية منها الى الفصحى لأن الدوائر الرسمية تكتب لجمهور الامة الذي لا يفهم ما تفهمه الاقلية والخاصة من الادب واللغة ، فهي في اضطرار الى اتباع القول المأثور « خاطبوا الناس على قدر ما يفهمون » ولعل الاستاذ لا يتنبه الى كون ما قدمه كحلّ للمسألة لا يمكن أن يكون حلاًّ لها وانما ذلك تقريرٌ منه لما هو واقع مشاهدٌ في سائر البلاد العربية حيث انه يوجد بها لغتان لغة عامية يتكلم بها ويكتب بها من لا مساس لهم بالعلم كبعض أهل البوادي ولغة فصحى يكتب بها في الشؤون

---

(١) وقد كان الاستاذ تيمور من دعاة العامية في جملة من كان من دعاتها من بين كتاب مصر ولكن يظهر أنه رجع عن ذلك حيث أنه صحح بعض قصصه وكساها حلة فصحى بعد أن كانت مكتوبة بالعامية وطبعها طبعة ثانية سنة ١٩٢٧ بعد ما أزال ما كان فيها من التحريف . ع. ك. ف.

الادبية والعامية ، ونحن نريد الخروج من هذه الحالة فتكون لنا لغة واحدة بها نكتب وبها نتكلم والظاهر أن ذلك لا يمكن الا بالوسائل الاتية :

أولاً — تعميم تعليم اللغة العربية في سائر الطبقات (وهي الغاية القصوى) .

ثانياً — الكتابة باللغة العامية وهو ما يأباه الناس وفيه من الصعوبات العامية ما يجعله بعيد المنال .

ثالثاً — الاخذ بين الطرفين وهو تعليم اللغة الفصحى مع اعتبار بعض التعابير والالفاظ العامية وادخالها في الفصحى خصوصاً الالفاظ التي تقادم عليها العهد والمصطلحات الصناعية كما وقع ذلك لبعض الامثال العامية التي يستعملها بعض الكتاب والادباء ، ومن هذا القبيل تلك المحاولة التي قام بها الطلقاني في القرن الرابع للهجري حيث أنه جمع « الامثال العامية » ببغداد الذي طبعه المستشرق الصوفي مسيو ماسنيون سنة ١٩١٥ بالقاهرة وقد تبعه في ذلك نعوم شقير فجمع عدداً وافراً من أمثال العامة في مصر والسودان والشام وطبعت حوالي سنة ١٨٩٠ .

وأظن أن هذا العمل ستقوم به الاجيال المقبلة من غير اضطرار الى مجتمعات لغوية بل تكتفي هذه بتدوين ما سيقع تحت تأثير مؤثرات وعوامل شتى كما يقع ذلك عند كثير من الامم الغربية فترى مثلا أن لفظاً كانت تستعمله العامة في القرن المتقدّم فبقي مستعملاً حتى سمى مقامه الى استعماله في الكتابة فتعمد اليه اللغة وتتبناه ويدخله اللغويون في معاجمهم وكثير ما يقع ذلك في اللغة الافرنسية وكل يوم نرى الاكديمية الافرنسية تفتح بابها للفظ كان بالامس مبتذلاً فتحدّد له معنى من معانيه وتدخله في قاموسها . وسيقع مثل ذلك لكثير من الفاظ اللغة العامية في العربية وأحسن شاهد على ذلك أننا نجد بعض الكتب المؤلفة بالمغرب — « سلوة الانفاس » للكتاني مثلا — مشتملة على اساليب كتابية وتعابير هي أقرب الى العامية منها الى الفصحى وان كان وقوع ذلك ليس باختياري من الكاتب وإنما هو مرغم عليه بحكم البيئة التي يعيش فيها لان اللغة المتكلم بها في حواضر المغرب وبواديه ليست الفصحى فاذا كتب عالم فانه كثيراً ما يتأثر بالالفاظ والاساليب التي يستعملها بين أهاليه وذويه .

ويظهر نفس ذلك في درس بعض العلماء حين يلقون دروسهم على الطلبة فانهم كثيراً ما يستعملون اساليب وتعابير ليست من الكلام الفصيح في شيء وذلك زيادة على تأثرهم بالعامية فانه يرجع الى كون الكثير منهم لم يتثقفوا بالادب العربي ولم يقرؤوا القرآن والحديث بقصد تعلم ما فيهما من فنون البلاغة وضروب البيان واشتغالهم بلوك الالفاظ الفقهية والقواعد النحوية يبعدهم بعض البعد عن الادب والانشاء حتى أنك لتجد منهم من لا قدرة له على كتابة الرسائل العادية فضلا عن ذلك من أنواع الكتابة والترسل ، وكل ما يعرفون من الادب هو « المقامات » ودرسها عندهم من الكماليات وكانت لا تدرس في داخل الجوامع لما فيها من أنواع المجون كالشعر نفسه وتدرس في صحن المسجد تبعاً لقول من لا يعتبر الصحن من جملة المسجد .[1]

فالعالم اذا لم يكن ذا معرفة بأدب العرب شعره ونثره فان العامية تتغلب على طبعه ويظهر ذلك اذ القى درساً أو كتب كتاباً أو حدّث حديثاً ، ولم يقل في نظم بعض

(١) وهنا يلذّ لي ان ارشد من لا يرى للادب قيمته التي ينبغي أن يعطاها الى ما يحكى عن الشيخ احمد بن ناصر الدرعي من كون بعض العلماء دخل عليه في وقت صلاة الجمعة فوجده يقرئ أولاده بعض قصائد العرب (المعلقات ؟) فاستغرب منه ذلك نظراً للوقت المذكور فأفهمه الشيخ رحمه الله بأن ذلك نفسه لا ينافي العبادة حيث أن فهم كتاب الله متوقف على دراسة العرب ! والغاية تبرّر الوسائل ، أليس كذلك ؟ ع. ك. ف.

البلغاء « شعر عالم » لغير ذلك لان سبب ركاكة شعر بعضهم هو جهلهم باللغة العربية رغماً عن معرفتهم بالنحو والعروض .

***

وأما الاستاذ الطناحي فانه يبحث في « هل في اللغة العامية أدب يستحق البحث ؟ » وبعد ما أورد في مقاله[1] نتفاً من قصائد عامية تساءل : هل مثل هذا النوع من اللغة العامية يقال له أدب ؟ ولأجل أن نتحدّث عن ذلك لابدّ ان نتكلم عن معنى الادب ، فالمعروف عند القدماء ان الادب هو اجادة التعبير نظما ونثراً على اساليب العرب ، والمعروف عند ادباء اليوم أن الادب هو التعبير بكلام جميل عن خاطر يجول بالنفس أو عاطفة يفيض بها القلب أو شعور بصورة من صور الجمال — فيجيب بانه على كل من الرأيين لا يمكن أن تعتبر الازجال والاغاني والقصص أدباً « وأن اللغة العامية ليس فيها نوع من الادب » ، لو كان التحديد الذي أعطاه الاستاذ موافقاً للحقائق العامية لكان رأيه صواباً إذ مثل تلك التحديدات انما هي تحديدات ادبية فنية لا يعترف بها العلم اذا العلم يرى في الادب ظاهرة من ظواهر حياة الامم كالموسيقي والرسم وغيرهما تدرس كما يدرس غيرها من الظواهر الاجتماعية ولذلك فان التعريف العامي لا يمكن أن يكون الا على الشكل الآتي : الادب مجموع ما انتجه كتاب أمة وشعراؤها من شعر ونثر سواءً كان ذلك فصيحاً أو عامياً فاذا اعتبرنا الادب هذا الاعتبار فالشعر العامي يكون بلا شك أدبا لان اعتبار الوزن والقافية والمحسنات اللفظية انما هي اعتبارات نسبية لا يعتبرها العالم في حكمه على الانتاج الادبي وانما تعرض للناقد في حكمه على نوع الادب .

[1] هلال سنة ١٩٣٣ صحيفة ١٣٢٥ .

وقد ختم الاستاذ الطناحي بحثه النفيس بالدعوة الى التوفيق بين اللغتين الفصحى والعامية كما فعل بعض الادباء المتقدمون كالبهاء زهير وغيره ، (وعند ما نعود للبحث في هذا الموضوع نأتي القراء بامثلة من الادب المغربي في هذا الشأن) .

***

وأنه ليسرُّنا تمام السرور كون المقالات المنشورة في مسألة الفصحى والعامية حرّكت همة بعض الادباء المغاربة فبعثوا لنا مقالات نخص منها بالذكر مقال الاديب السيد عبد الله الجراري الرباطي تحت عنوان : « مفعول العامية في الوسط » لا يمكن نشره الآن لضيق المقام ، ومضمنه : أن السلف الصالح كانوا يخاطبون الناس على قدر أفهامهم يشهد لذلك ما ورد في الصحيح عن علي موقوفاً : « حدّثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » وما ورد في مقدمة مسلم عن ابن سعد : « ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » ، وان كنا لا نرى في هذا حجة لا تدحض فانه مما يستأنس به ، ثم ان الكاتب أخذ يبين كون العامي لا يفهم كثيراً مما يقول الخطباء والمحاضرون بل كثيراً ما يفهم بعكس ما يقوله الخطيب أو المحاضر ، وقد تتبع ما كنا قلناه في العامية في مقالنا عن رواية « الاوصياء » وبين أننا لم نرد أدنى تنقيص من قدر اللغة العربيه والواقع هو أن الذي فهم من كلامنا ذلك انما اساء الفهم واساءة الفهم من الذنوب المغفورة لانه أمرٌ اضطراري لا اختيار لصاحبه فيه حيث أن فكره خلق معوجاً ، واستشهد بكلام العلامة ابن خلدون بكونه اعتبر الشعر العامي وأثنى عليه في مقدمته وأعطاه حقه من الاستفاضة في الكلام وبيان ما احتوى عليه من بلاغة .

***

كما أننا نذكر من بين تلك المقالات مقالا لاحد تلامذة القرويين وهو السيد الطيب بن الطالب الفاسي عنوانه : « كتاب مفتوح الى رئيس طلبة الشمال الافريقي » وانما وجه الخطاب له لما يعرف من كون حضرة الرئيس ممن يدعون الى الاعتناء بالادب العامي وله في ذلك أبحاث قيمة ومواقف مشهورة سيطلع عليها القراء بعد حين ، ويلخص المقال المذكور في كون الاعتناء باللغة العامية لا يجدي نفعاً في الحالة التي عليها المغرب الآن من جهل الجمهور للغه العربية الفصحى أكثر من غيرها لانه بها يتمكن المغربي من الثقافه الاسلاميه وحفظ الدين فان كان لابدّ من الاعتناء بالعامية فيكون ذلك في سبيل استعمالها في دعوة الجمهور الى النهوض مما هو فيه من خمود وجمود ، وهذا رأي جدير بالاعتبار ، والسلام .

عبد الكبير الفاسي

وحدة اللغة

للشيخ محمد رشيد رضا [1]

لا يمكن أن يتم الاتحاد والاخاء بين الناس وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة الا بوحدة اللغة ، وما زال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتمنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة يتعاونون بها على التعارف والتآلف ومناهج التعليم والآداب والاشتراك في العلوم والفنون والمعاملات الدنيوية ، وهذه الامنية قد حققها الاسلام بجعل لغة الدين والتشريع والحكم لغة لجميع المؤمنين به والخاضعين لشريعته ، إذ يكون المؤمنون مسوقين باعتقادهم ووجدانهم الى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله لفهمهما والتعبد بهما والاتحاد بأخوتهم فيهما ، وهما مناط سيادتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، ولذلك كرّر في القرآن بيان كونه كتاباً عربياً وحكماً عربياً وكرر الامر بتدبره والتفقه فيه والاتعاظ والتأدب به ، وأما غير المؤمنين فيتعلمون لغة الشرع الذي يخضعون لحكمه ، والحكومة التي يتبعونها لمصالحهم الدنيوية كما هي عادة البشر في ذلك، وكذلك كان الامر في الفتوحات الاسلامية العربية كلها.

وقد بينت من قبل وجوب تعلم اللغة العربية في دين الاسلام وكونه مجمعاً عليه بين المسلمين كما قرره الامام الشافعي (رض) في رسالته وقد جرى عليه العمل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ثم خلفاء الامويين والعباسيين الى أن كثر الاعاجم وقل العلم وغلب الجهل فصاروا يكتفون من لغة لدين بما فرضه في العبادات من القرآن والاذكار .

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينكر على المسلمين كل نوع من أنواع التفرق الذي ينافي وحدتهم وجعلهم أمة واحدة كالجسد الواحد كما شبههم بقوله: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه الامام أحمد ومسلم من حديث النعمان بن بشير (رض) وكان يخص بمقته وإنكاره التفرق في الجنس النسبي أو اللغة ، أما الاوّل فشهور وأما الثاني فيجمعه مع الاوّل الشاهد الآتي :

روى الحافظ ابن عساكر بسنده الى مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هذا ؟ (يعني هذا المنافق بالرجل النبي صلى الله عليه وسلم وأن الاوس والخزرج من قومه العرب ينصرونه لانهم من قومه ، فما الذي يدعو الفارسي والرومي

(1) المنار

والحبشي الى نصره ؟) فقام اليه معاذ بن جبل (رض) فأخذ بتلبيبه (أي بما على لببه ونحره من الثياب) ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضباً يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودي : أن الصلاة جامعة — وقال صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ان الرب واحد ، والاب واحد ، وأن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » فقام معاذ ، فقال : فما تأمرني بهذا المنافق يا رسول الله ؟ قال : « دعه إلى النار » فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل .

أرأيت لو ظل المسلمون على هذه التربية المحمدية أكان وقع بينهم من الشقاق والحروب باختلاف الجنس واللغة كل ما وقع وأدى بهم الى هذا الضعف العام ؟ ...

يعترض بعض أولي النظر القصير والبصر الكليل على توحيد اللغة في الشعوب المختلفة بأنه خلاف طبيعة البشر ، ويرد عليهم بان توحيد الدين أبعد من توحيد اللغة عن طبيعة البشر ، ان أريد بالبشر جميع أفرادهم ، وان الحكماء ما زالوا يسعون لجمع البشر على لغة واحدة مشتركة مع علمهم أن ترقي بعض اللغات بترقي أهلها في العلوم والفنون والسياسة والقوّة يستحيل معه أن يرغبوا عنها الى غيرها ، ولم يسع أحد منهم لجمعهم على دين واحد ؟ وأن القرآن الذي شرع توحيد الدين مع شرعه ولغته لجميع البشر قد علمنا أن حكمة الله تعالى في خلق الانسان تأبى أن يكون الناس كلهم أمة واحدة تدين بدين واحد (١١ : ١١٨ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وانما دعاهم الى هذه الرحمة ليقل الشقاء الذي يثيره الخلاف فيهم — هذا الخلاف الذي جعل أعلم شعوب الارض وأرقاهم في العمران يبذلون في هذا العهد أكثر ما تستغله شعوبهم من ثروة العالم في سبيل الحروب .

دعا الاسلام البشر كلهم الى دين واحد يتضمن توحيد اللغة وغيرها من مقومات الامم فكانوا يدخلون فيه أفواجاً حتى امتد في قرن واحد ما بين المحيط الغربي الى الهند ولولا ما طرأ عليه من الابتداع ، وعلى حكومته من الظلم والاستبداد ، وعلى شعوبه من الجهل والفساد ، والتفرق بالاختلاف ، لدخل فيه أكثر البشر ، ولصارت لغته لغة لكل من دخل في حظيرته من الامم ، فمن غرائزهم اختيار الافضل اذا عرفوه .

الوصف

للاستاذ عز الدين التنوخي[1]

ان الوصف في لغتنا العربية لا يزال معظمه بعيداً عن التخصيص والتمييز فهو لا يصور لك الموصوف تصويراً يميزه عن سائر اشباهه ونظائره ، فتراه كما يقول صاحب الصناعتين نصب عينيك ، ما بين يديك ، فاذا سمعت شاعراً يصف لك دمشق مثلا ، ولم يذكر لك اسمها ، تحار في الموصوف ، فتحسبه يصف لك القاهرة او بغداد او طهران ، لجواز اتصاف القاهرة المعزية ، او مدينة السلام او طهران العجمية ، باوصاف دمشق العربية ، كذلك اذا سمعت من ضروب الوصف مدحاً اورثاء او هجاء ولم يذكر لك الممدوح او المجروح ، لم تعرفه مهما حذقت الكهانة ، لانه لم يوصف بالاوصاف الخاصة ، والفوارق المميزة التي تخرجه من زمرة اشكاله وامثاله وهلم جرا من الموصوفات في لغتنا التي لا يخصصها ما اختصت به من سمات ، ولا يميزها عن اشباهها ما امتازت به من صفات ، وانك لترى الشاعر

[1] الثقـافة

او الناثر اذا كان اكثر من الاوصاف المزوّقة لا المحققة جمح به الوصف الى الغلو والاحالة ، مما يذهب ببهجة القول ، ويطفئ نور الحق ، ويبطل سحر البيان ، خذ لك مثالا على ذلك قول الطغرائي يصف محمد بن ملكشاه السلجوقي ، وقد عثرت على هذا القول اتفاقا :

لجلال قدرك تخضع الاقدار
وبيمن جدك يحكم المقدار
ولك البسيطة حيث مد غطاءه
ليلٌ ، وما كشف الغطاء نهار

إلى أن يقول :

عم البرية والبسيطة عدله
فالخلق شخص والبسيطة دار
شكراً فقد آتاك ما لم يؤته
احداً سواك الواحد القهار

اصحيح ذلك ؟ وهل يقول الحق اذ يقول :

تعطي وتمنع من تشاء باذنه
فبكفك الارزاق والاعمار
تتفاوت الاقدار ما بين الورى
فاذا ذكرت تساوت الاقدار
واسوت جرح الحادثات وطالما
كنا وجرح الحادثات جبار

فهل صدق ليت شعري الطغرائي بهذه الصفات التي من جملتها اسو جرح الحادثات ام ان اعذب الشعر اكذبه ، واعجبه اغربه ؟

واذا خطر لكاتب ان يصف بلدة قال مثلا : بلدة ترابها عبير وحصباؤها عقيق وهواؤها نسيم وماؤها رحيق ، كوكبها يقظان ، وجوها عريان يومها غداة وليلها سحر ، وما اشبه ذلك من التفاهة والهذر ، وتراه في وصف الحصن يقول : حصن كأنه على مرقب النجم ، ومجير من القدر الحتم ، يحسر دونه الناظر ، ويقصر عنه العقاب الكاسر ، يكاد من علوه يغرف من حوض الغمام ، انتطق بالجوزاء وناجت بروجه ابراج السماء ، ونحو ذلك من « الخرط » والهراء ، هذا والحصن طبقة او طبقتان من البناء ، فكيف وما ذا ليت شعري نقول لو اردنا ان نصف نواطح السحاب من الابنية الامريكية وهي طبق فوق طبق ، وقد تبلغ او تتجاوز حد الاربعين من الطبقات فتنطح بالفعل الغيوم ، وتكاد تصعد لتتحلى بالنجوم !

ثم اذا هم بوصف دار سرية لم يستعمل من التعابير الا ما لا معنى له مما يخصص دارا ، ولا يصور منها شرفة ولا جدارا ، ولا يذكر لها حيا ولا جوارا ، كقوله مثلا :

دار تخجل منها الدور ، وتتقاصر لها القصور ، هي دائرة الميامن ، ودارة المحاسن ، قد اخذت اداة الجنان ، وضحكت عن العبقري الحسان ، يخدمها الدهر ، ويناويها البدر ، ويكنفها النصر وهلم جرا .

واذا اخذ في وصف روضة صورت فيها يد المطر ابهج الصور قال : روضة كالعقود المنظمة ، على البرود المنمنمة ، نشرت طرائف مطارفها ، ولطائف زخارفها ، فطوي لها الديباج الخسرواني ، ونفي معها الوشي الاسكندراني كانما احتفلت لوفد ، او هم من حبيب على وعد . كلام طليّ مزخرف معسل ، ولكنه لا يبلغنا من الوصف المأمول !

فالوصف عندنا لا يقصد من اكثره على الغالب الا الثناء والاطراء او الازراء والهجاء ، لا تخصيص الاشياء وتمييزها عن اشباهها تمييزاً يزيل كل لبس ، ويرد الراحة الى النفس ، على ان لكثير من نوابغنا من الوصف الدقيق الرائع ما يكاد يستوفي شرائطه فيمثل الموصوف لعين القارئ فيصدق عليه انه احدى الرؤيتين .

ولماس والمياه المعدنية

لا يخفى على أحد ما للمياه المعدنية من المنافع وما لها من الأثر في استعمالها لمعالجة بعض الادواء، وقد تبين ذلك جلياً بالتجارب والتحقيقات العامية حتى أنه في كل عام صار عدد عديد من المرضى يقصدون باشارة من كبار الاطباء ومهرة النطاسيين المياه المعدنية للشرب أو الاستحمام ويتحملون في ذلك مشقة الاسفار الطويلة والمراحل البعيدة .

ولا تستعمل المياه المعدنية في مواضعها فقط بل أنها تجعل أيضاً في علب الزجاج وتنقل الى مختلف النواحي ليتمكن من شربها والانتفاع بها من ليس له متسع من الوقت أو ليست له قدرة على السفر .

وبالمغرب في ناحية ولماس الشيء الكثير من هاته العيون الخارجة من أعماق الارض وهي تامة الشبه بالمياه المعدنية المستعملة في اوربا للتداوي ولها مثل ما لهاته المياه من سائر الخصائص .

فارتأت الحكومة الشريفة أن تستعمل عيون ولماس للمعالجة وعقدت لهذا الغرض اتفاقاً مع شركة تسمت باسم « شركة استغلال المياه المعدنية بولماس » .

وتمكنت الشركة من العثور على كثير من المنابع ومنها عينان تسمى احداهما «لالة حية» والاخرى «عين ابردي» وهما مشهورتان لدى الاهالي منذ أعوام كثيرة .

ومن الاساطير التي يتناقلها الناس أن مولاي يعقوب الزرهوتي كان بناحية ولماس فغشيه الليل بوادي اجنون فنبعت العين في المكان الذي أحي فيه تلك الليلة بالعبادة

ويقصُّ آخرون أن مولاي يعقوب لم يجد ماء بالوادي فغرز عصاه في الارض فانفجر الماء [1]

وقد تبين من الاختبار والبحث الذين أجراهما علماء اخصائيون في المياه المذكورة أن « لالة حية » من المنابع الناجعة، فانها تخرج من الارض بحرارة ٤٣ درجة ويتحصل من تحليل ماءها بمعامل الدولة الشريفة انها صالحة بالخصوص لامراض المعدة والكبد والكلي وهي أيضاً صالحة لمعالجة ضعف الجسم المتولد عن البالدوسم أو مرض المستنقعات .

والاعمال الآن جارية لحصر مائها وعما قريب سيجعل في علب الزجاج بالوسائل العصرية كما هو الشأن في المياه المعدنية باوربا ويعرض على البيع بعضه ماء صافي خالص للشرب على المائدة وبعضه ماء غازي مصنوع بالغاز الخارج من العين نفسها .

وتنوي « شركة استغلال المياه المعدنية بولماس » نهج الدكتور موشان رقم ١١ بالدار البيضاء تلفون ٨.٠٩.١٤ الشروع في عرض الماء للبيع في شهر يونيه الجاري .

(١) ترجو الشركة كل من له معلومات تتعلق باصل مياه ولماس أو قصص تروج في شأنها أن يوافيها بذلك سواء كانت من قبيل الاساطير والادب الخيالي أو من قبيل التاريخ الصحيح .

— تهنئة بزفاف —

هي الفرصة المتاحة ننتهزها للتقدم بتهنئة قلبية صادقة الى السري الماجد السيد أبي بكر زنيبر بمناسبة زفاف كريمته المصونة الى العالم الفاضل السيد الحاج محمد بن الوقور المحترم السيد ابي بكر المريني . والسيد أبو بكر زنيبر يعرفه القراء أنه وكيل «مجلة المغرب» وله جهود وخدمات نحوها نقدرها له التقدير المتناهي ونعتبرها له الاعتبار الجدير بالبقاء، ولا غرو فبيت زنيبر بيت مشهور في التاريخ المغربي سلف لافراده أن تقلبوا في الخدمات المخزنية ولا يزال يعرف منهم العالم المقتدر والمدرس النفاع والقاضي النزيه، ونحن لا ندع هاته الفرصة تمر دون أن ننوه بصديقنا المفضال ونذكر له حزمه ونشاطه ووفاءه وثباته ونهنيه بزفاف كريمته التي نرجو لها العيش الرغيد والحياة الطيبة والسعادة الكاملة في بيت قرينها الكريم .

الحسبة في الاسلام

للاستاذ محمد كرد علي[1]

لم يقصر العرب في شأن من شؤون المدنية بالنسبة لاعصارهم وكلما ارتقت حضارة الغرب وتوفر العاملون من أبنائه اليوم على استخراج دفائن هذه المدنية العربية الاسلامية تتجلى لنا أمور منها ما كنا نحن أصحاب تلك المدنية نعلمه من قبل .

من المعلوم أن المدنية انتقلت الى العرب من الفرس واليونان والهند ، ولكن جاء الاسلام بما فيه من العوامل القوية والنظام المدني البديع الذي استخرجه أهل الصدر الاول من روح الكتاب والسنة بأجمل مدنية عرفها البشر وما نظنه مهما ارتقى في الازمان التالية يخرج عن حدها الا قليلا .

لم يترك العرب باباً من أبواب المدنية الا وطرقوه ولا علماً من العلوم الا وعانوه وبرزوا فيه ، وقد تجلت مدنيتهم باجلى مظاهرها في فارس والعراق ومصر والشام والاندلس أكثر من غيرها من الاقطار التي هذبها الاسلام وكانت العرب اساتذة أبنائها ، والغالب أن قيام دول عظمى اسلامية في تلك الاقطار كان من أول الدواعي الى تجويد مدنيتها ورفع شأنها بين الامصار على اختلاف القرون والاعصار وللاقاليم وطبيعته دخل كبير في تثقيف العقول وتعويد القرائح الابداع والاختراع .

ضاعت وا أسفاه أوضاع مدنيتنا القديمة ومشخصاتها لأن العرب تمزقوا وتفرقوا بعد استيلاء أناس من الفاتحين على بلادهم كانوا دونهم في سلامة الذوق وجودة الفطرة فأفسدوا أخلاقهم بما حملوه اليهم من عاداتهم وتقاليدهم المختلة حتى أوصلوهم الى درجة من الجهالة لو لم يتداركها في القرن الماضي محمد علي باشا في مصر وخير الدين باشا في تونس ومدحت باشا في الشام والعراق لاضمحل عمرانهم وباد سلطانهم .

وبعد فان الناظر في أصول الحسبة في الحكومات الاسلامية السالفة يعلم أن أجدادنا هيأوا لمدنهم وسكانها جميع ضروب الراحة والهناء وحاولوا أن يبعدوا عنها ما أمكن الجور والشقاء ، والحسبة بالكسر الاجر وهو اسم من الاحتساب أي احتساب الاجر على الله تقول فعلته حسبة واحتسبت فيه احتساباً والاحتساب طلب الاجر وكانت الحسبة وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين وأهل السفن من الاكثار في الحمل والحكم على أهل المباني المتداعية بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في الكتاتيب وغيرها من الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين — قاله ابن خلدون ، وقال ابن تيمية : وبنو آدم لا يعيشون الا باجتماع بعضهم مع بعض واذا اجتمع اثنان فصاعدا فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بامر وتناه عن أمر واولو الامر أصحاب الامر وذوو القدرة وأهل العلم والكلام فلهذا كان اولو الامر صنفين العلماء والامراء فاذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للاحمسية لما سألته ما بقاؤنا على هذا الامر قال : ما استقامت لكم أئمتكم ، ويدخل فيهم

---

[1] مجلة الشرق

الملوك والمشايخ وأهل الديوان وكل من كان متبوعاً فانه من اولي الامر .

وقال ابن الاخوة : الحسبة من قواعد الامور الدينية وقد كان أئمة الصدر الاول يباشرونها بانفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها وهي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله واصلاح بين الناس والمحتسب من نصبه الامام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم وبياعاتهم ومأكولهم ومشروبهم وملبوسهم ومساكنهم وطرقاتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

وكانت الحسبة (المقتبس م ٣ ص ٥٣٧ و ٦٠٩) في الحكومات العربية وحكومات الطوائف ضرباً من ضروب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يكون من تسند اليه الا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين ولا يحال بين المحتسب وبين مصلحته إذا رآها والولاة تشدّ معه إذا احتاج الى ذلك وقد قسمت الحسبة الى ثلاثة أقسام : احدها ما يتعلق بحقوق الله تعلى والثاني ما يتعلق بحقوق الآدميين والثالث ما يكون مشتركاً بينهما ويمكن أن تقسم الحسبة الى دينية ومدنية فالديني منها بطل من بلاد الاسلام منذ أصبحت حكوماتها لا تحافظ على جوهر الدين بالذات ، والمدنية استعيض عنها في القرن الماضي في البلاد العثمانية بالمجالس البلدية وبقيت الحسبة معروفة في مصر الى أواسط القرن الثالث عشر ، ولا عجب فمصر آخر ما اضمحل من اقطار العرب وأول من نهض .[1]

فالحسبة والحالة هذه أشبه بديوان الشرطة والصحة والبلديات لعهدنا وكان المحتسب أو صاحب الحسبة يشرف على المعاملات المنكرة في الدين ويجازي عليها في الحال فينكر ما يجده مثلا من المنكرات في الاسواق ويشدد على السوقة والباعة في صحة القناطير والارطال والمثاقيل والدراهم والموازين والمكاييل والاذرع ويجري قواعد الحسبة على الطحانين والعلافين والخبازين والشوائين والنقانقيين والكبوديين والبواريين والرواسين والطباخين والشرايحيين والهراسين وقلائي السمك والزلابية والحلاويين والشرابيين والعطارين والشماعين واللبانين والبزازين والدلالين والحاكة والخياطين والرفائين والقصارين والحريريين والصباغين والقطانين والكتانين والصيارف والصاغة والنحاسين والحدادين والاساكفة والبياطرة وسماسرة العبيد والجواري والدواب والدور والحمامات والسدارين[1] والفصادين والحجامين والاطباء والكحالين والمجبرين ومؤدبي الصبيان والقومة والمؤذنين والوعاظ والمنجمين وعلى أصحاب السفن والمراكب وباعة قدور الخزف والكيزان والفاخرانيين والغضاريين والاباريين والمسلاتيين والمرادنيين والحناويين والامشاطيين وعلى معاصر السيرج والزيت الحار والغرابليين والدباغين والبطيين واللبوديين والحصريين والتبانين والخشابين والقشاشين والنجارين والنشارين والبنائين الى غير ذلك مما يقصد منه منع غش المبيعات وتدليس أرباب الصناعات .

وكانوا يختصون المحتسب بالنظر في امور احداها اراقة الخمور كلها وكسر المعازف واصلاح الشوارع وكذلك باب كبير فيه مسائل احداها أمر الميزاب والاوحال والارداغ والدكاكة على الباب ومنع جلوس الباعة عليها ومنع سوق الحمر والبقر للخشابين والآجريين ونحوهم ومنع

(١) لا زالت الحسبة الى الآن في المغرب من الخطط الدولية . « المجلة »

(١) السدارون الذين يطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون اذا غش بضر ولا ينفع والفاخرانيون والغضاريون وهم الذين يصنعون الصحاف (الزبادي او السلطانيات) والمرادنيون الذين يعملون المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب الساسم او من السنط الاحمر والمسلاتيون صناع المسلات .

ربط الناس دوابهم فيها ومنع عمارة الحيطان في شيء من الشوارع ومنع شغل هواء الشارع بالجناح ويسمى (برون داشت) ومنع المبرز في الجوار بحيث تكون ازالة النجاسة منه بالوقوف في الشارع ومنع الظلة الى غير ذلك من المصالح مثل النظر بين الجيران في التصرفات المضرة كالنظر وسد الضوء الا فيما يرجع الى الملك كغصب قطعة من الارض ومنع أسبال الازار ونحوه على الكعبين وزجر الرجال على التشبه بالنساء ومنع النساء عن التشبه بالرجال وأمر التنبوليين بطهارة مائهم وتنقية نورتهم عن الحصاة ومنع الناس عن تطيير الحمام ومنع البغايا وتعزيرهن ومنع أوليائهن ومواليهن وأزواجهن وأمر غير المسلمين بتطهير الاواني التي يبيعون فيها المائعات من الدهن واللبن وأمر الغسالين باقامة السنة واجتناب البدعة في غسل الموتى وحفر القبور والحمل وزجرهم عن الغلاء في اخذ اجر ونصب الصلحاء وذوي الخبرة بهذه الامور وتفحص الجامع يوم الجمعة والمصلى يوم العيدين واخلاؤهما عن البيع والشراء ومنع الفقراء عن التخطي ومنع القصاص عن القصص المفتراة ومنع النساء السائلات عن الدخول في المصلى ومنع الصبيان والمجانين منه ودفع الحيوانات المؤذية عن العمرانات كالكلاب العقور والنهي عن النجس والامر بالتنظيف ومنع الناس عن الوقوف في مواضع التهم كتحدث الرجال مع النساء في الشوارع ومنع النقاسين والصباغين والصواغين عن اتخاذ ذوات الروح[1] وكبر الصور ومنع المسلمين عن الاكتسابات الفاجرة كاتخاذ الاصنام والمعازف والصنج وبيع النبيذ والبختج[2] ومنع الناس عن اتخاذ القبور الكاذبة وخروج الناس الى زيارة بعض المتبركين أو بعض المساجد على مشابهة الخروج الى الحج ومنع النساء عن التبرج

والتفرج بالخروج الى النظارات وزيارات القبور ومنع الناس عن التصرفات في المقابر بلا ملك ومنع المطلسمة والسحار والكهان عن منكراتهم ونهي أصحاب الحمامات عن منكراتهم بتطهير المياه واخلاء الحمام عن المرد ودخول العراة فيه وأمرهم باتخاذ الحجب بين الرجال والنساء ومنع الناس عن تعلم علم التنجيم مما لا يحتاج اليه في الدين وتصديق الناس الكهان والمنجمين ومنع الناس عن بدعة ليلة البراءة ومنع الناس اللعابين بالنرد والشطرنج وتفريق جمعهم وأخذ بساطهم وتماثيلهم ومنع القوابل عن اسقاط جنين الحوامل ومنع الجراحين عن الجب والخصاء في الناس ومنع الناس من الاقامة في المساجد ووضع الامتعة فيها ومنع الذي أصابه اللمم عن التكلم بالغيب واجتماع الناس عنده زاعمين أنه صادق في أخباره بالغيب ومنع الخطاط ومعلم القرآن ومعلم النحو باجر عن الجلوس في المساجد ومنع المعلم عن أخذ شيء باسم النيروز والمهرجان وينذر المحتسب معلمي الكتاتيب أن لا يضربوا الصبيان ضرباً مبرحاً ولا في مقتل وكذلك معلمي العلوم بتحذيرهم من التغرير باولاد الناس ويقفون من يكون سيء المعاملة فينهونه بالردع والادب .

وكانت وظائف المحتسب تزيد وتنقص بحسب البلد ولا تعدو وظائف المحتسب الامور المشتركة بين أهل كل مجتمع فالمحتسب في بيروت يقضي عليه أن ينظر في أمور لا ينظر فيها محتسب دمشق مثلاً ففي بيروت يعني المحتسب بالاحتساب على السماكين والملح والصير والبوري وقلائي السمك والطيور وصيادها ونجاري المراكب وتقديرات المراكب وجميع المدن مشتركة مثلاً في الحسبة على الصيادلة والعقاقير والاشربة والمعاجين والقلانسيين والخرازين وصناع الشرك والاساكفة وصناع الخفاف وصنعة السرابات والزرفاتين والنجاتين والدهانين وغشهم والمكارين وغشهم

(١) المنهي عنه الصور المجسمة للتعظيم اما الصور النصفية فلا مانع منها .

(٢) البختج كقنفذ عصير مطبوخ وأصله بالفارسية ميبخته .

وكساحي السماد وحمالته والغرابيل ومناخل الشعر والوراقين والمبهرجين وفيمن يكتب الرسائل على الطرق والرقاع والدروج وكتاب الشروط والولاة والقضاة وتدليسهم والميازيب ومضرتها والمراصد والمراقب وطباخي الولائم والمحامل وصناعها والروايا والقرب الى غير ذلك مما كان يستدعيه مجتمعهم ودينهم وعاداتهم ومدنيتهم .

وليس هذا كل ما يُطلب من المحتسب فقد كان يطلب منه أن يسيطر على العقول ، ذكر بن الاثير في المثل السائر من تقليد انشاء منصب الحسبة : ...واعلم أن الناس قد اماتوا سنناً وأحيوا بدعاً ، وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيعا ، وأظلم منهم من أقرّهم على أمرهم ، ولم يأخذهم بقوارع جزرهم ، فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها ، وترك النهي عنها كالامر باتيانها ، ولم يأت بنا الله الا ليعيد الدين قائما على اصوله ، صادعاً بحكم الله فيه وحكم رسوله ، ونحن نأمرك ان تتصفح احوال الناس في امر دينهم ، الذي هو عصمة مالهم وامر معاشهم ، الذي يتميز به حرامهم من حلالهم ، فابدأ اولاً بالنظر في العقائد ، واهد فيها الى سبيل الفرقة الناجية الذي هو سبيل واحد ، وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزموا مواطن الحق فاقاموا ، وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ، ومن عداهم شعب دانوا اديانا ، وعبدوا من الاهواء اوثانا ، واتبعوا ما لم ينزل به الله سلطانا ، ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم اعمالكم ، فمن انتهى من هؤلاء الى فلسفة فاقتله ولا تسمع له قولا ، ولا تقبل منه صرفاً ولا عدلاً ، وليكن قتله على رؤوس الاشهاد ، ما بين حاضر وباد ، فما تكدرت الشرائع بمثل مقالته ، ولا تدنست علومها بمثل اثر جهالته ، والمنتمي اليها يعرف بنكره ، ويستدل عليه بظلمة كفره ، وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالابصار ، وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الانوار ، وما تجد من كتبها التي هي سموم ناقعة ، لا علوم نافعة ، وافاعي ملقفة ، لا اقوال مؤلفة ، فاستأصل شأفتها بالتمزيق ، وافعل بها ما يفعله الله باهلها من التحريق ، ولا يقنعك ذلك حتى تجتهد في تتبع آثارها ، والكشف عن مكامن اسرارها ، فمن وجدت في بيته فليوخذ جهاراً ، ولينكل به اشهاراً ، وليقل هذا من استكبر استكباراً ، ولم يرج لله وقاراً... قلنا وتطبيق هذه الشدة في بعض الحكومات الاسلامية ويا للاسف قد دعت الى التقول على كل مخالف وذهب كثير من ارباب العقل والفلسفة طعمة الضغط والاستبداد فتأخرت بذلك الامة واشبه المسلمون في كثير من ايامهم المسيحيين في القرون الوسطى بما منوا به من دعوى السحر والكفر فأهلكوا بأحكام دواوين التفتيش الديني الوفاً ذهبوا جزاء عقولهم التي ارادت ان تخرج عن مستوى محيطهم الضيق .

ومن اجمل التقاليد تقليد رشيد الوطواط في الحسبة وفيه ان اولي الامور بان تصرف اعنة العناية الى ترتيب نظامه وتقصر غايات الهمم عن تنمية اتمامه امر يتلعق به ثبات الدين وينعطف عليه صلاح المسلمين وهو امر الاحتساب فان فيه تثقيف الزائغين عن الحق وتأديب المنهمكين في الفسق وتقوية اعضاد ارباب الشرع وسواعدها ، واجراء اعمال الدين على قوانينها وقواعدها ، وينبغي ان يكون متقلد هذا الامر موصوفاً بالديانة ، معروفاً بالصيانة ، معرضاً عن مراصد الريب ، بعيداً عن مواقف التهم والعيب ، لا بساً مدارع السداد سالكا مناهج الرشاد... وامرناه ان يجعل الزهد شعاره ، والتقوى دثاره والعلم معامه والدين مناره ، ثم يامر بالمعروف وينهي عن المنكر ويقيم حدود الشرع على موجب النصوص والاخبار ، ومقتضى

السنن والآثار ، من غير ان يتسور الحيطان ، ويتسلق الجدران ، ويرفع الحجب المسدولة ، ويكسر الابواب المسدودة ، ويسلط الاوباش على دور المسلمين ، وحرم المؤمنين ، حتى يغيروا على أموالهم ويمدوا الايدي الى عوراتهم واطفالهم ، ويظهروا ما أمر الله بستره واخفائه ونهى عن اشاعته وافشائه ، فان عبادة الاوثان خير من ذلك الاحتساب ، والعقوبة الابدية أولى بمباشره من الاجر والثواب .

قال ابن فضل الله في التعريف وصية محتسب : وقد ولي أمر هذه الرتبة ووكل اليه النظر في مصالح المسلمين حسبة لله فلينظر في الدقيق والجليل والكثير والقليل وما يحصر بالمقادير وما لا يحصر ، وما لا يؤمر فيه بمعروف وينهى عن منكر ، وما يشترى ويباع ، وما يقرب بتحريره الى الجنة ويبعد من النار ولو لم يكن قد بقي بينه وبينها الا قدر باع او ذراع ، وكل ما يعمل من المعايش في نهار او ليل ، وما لا يعرف قدره الا اذا نطق لسان الميزان او تكلم فم الكيل ، وليعمل لديه معدلاً لكل عمل ، وعياراً اذا عرضت عليه المعايير يعرف من جار ومن عدل ، وليتفقد اكثر هذه الاسباب ، ويحذر من الغش فان الداء اكثر من الطعام والشراب ، وليتعرف الاسعار ، ويستعلم الاخبار ، في كل سوق من غير اعلام لاهاه ولا اشعار ، ليقم عليهم من لا مناء من ينوب عنه في النظر ، ويطمئن به وان غاب اذا حضر ، ويأمره باعلامه بما اعضل ، ومراجعته مهما امكن فان رأي مثله افضل ، ودار الضرب والنقود التي منها تنبث ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر الا بعد طول اللبث ، فليتصد لها بصدره الذي لا يحرج ، وليعرض منها على المحك من رأيه ما لا يجوز عليه بهرج ، وما يعلق من الذهب المكسور ويروبص من الفضة ويخرج ، وما أكلت النار كل لحامه ولا بعضه ويقيم عليه من جهته الرقباء ، وليقم على شمس ذهبه من يرقب منه مـا ترقب من الشمس الحرباء ، وليقم الضمان على العطارين والطرقية في بيع غرائب العقاقير الا ممن لا يستراب فيه وهو معروف ، وبخط مطبب ما هو لمريض معين في دواء موصوف ، والطوقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة الى ساسان ، ومن ياخذ اموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل انسان سوء من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطان لا انسان ، امنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا ينجبر له صدع ، وصب عليهم النكال والا فما تجدي في تأديبهم اداة التأديب والصفع ، وأحسم كل هذه المواد الخبيثة ، واقطع مـا يجر ضعفاء الناس من هذه الاسباب الرثيثة ، ومن وجدته غش مسلما ، أو أكل بباطل درهما ، أو خير مشترياً بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ، أشهره في البلد ، وأركب تلك الآلة قفاه حتى يضعف منه الجلد ، وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وعالمات النساء وغيرهما من الانواع (؟) ممن يخاف من ذئبه العائث في سرب الظباء والجآذر ومن يقدم على ذلك ومثله وما يحـاذر ، أرشقهم بسهامك ، وزلزل

أقدامهم باقدامك ، ولا تدع منهم الا من جريت أمانته ، واختبرت صيانته ، والنواب لا ترضى منهم الا من يحسن نفاذا ، ويحسب لك أجر استنابته ، اذا قيل لك من استنبت فقلت هذا ، وتقوى الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثر إلا إذا عملت فيه بمذهب مالك اه .

ولقد حدثنا التاريخ ان الناس كانوا يتولون الحسبة بانفسهم عندما تضعف الحكومات لان مصلحة اهل كل بلد لا تتم الا بدفع الاذى بعضهم عن بعض والتواصي بالحق والجاهل في ذمة العالم والضعيف من حصة القوي ، وأهل البلد الواحد متضامنون معنىً وضمناً اذا لم يتضامنوا هلكوا وهيهات ان تتم للفرد فيه سعادة لا تتناول المجموع .

نعم إن تلك الاوضاع قد بلغت عند غيرنا في هذا العصر مبلغاً عالياً من الرقي بفضل قاعدة توزيع الاعمال وكثرة الاختصاصيين في كل فرع من الفروع التي تشتد حاجة المدنية اليها ولكن ديوان الحسبة وحده كان يقوم بأكثر هذه المقومات في المدن الفاضلة فكانت الحسبة آخذة برقاب المنافع دافة أعناق المضار ، ومن الغريب أن عصرنا على رقيه لم يصل في بلادنا الى بعض ما كان يتمتع به أهلها في القرون الوسطى وهذا سرّ الفرق بيننا فسبحان الملهم العظيم .

الكتب و النشريات

[الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير] في القطر الشقيق بلاد الجزائر نهضة فكرية يقوم بها طائفة صالحة من خيرة ابناء الجزائر الكرام وتدل بسيرها الحثيث على مستقبل مجيد زاهر سيعلمه الناس وتلهج به الاجيال متى ساعدته الظروف وزالت من طريقه العثرات التي ما برحت تعوقه وتمنعه من النماء والازدهار ، ولقد كنا وما زلنا نرقب هذه النهضة الفتية ونعجب بجهود وثبات الفئة العاملة لرسوخ قدم نهضة الفكر بذلك القطر ونحيي فيهم ذلك العزم القوي والصبر المتين ، ويكفي تعريفاً بالقائمين بها أنها تقوم على أكتاف أفراد جمعية العلماء المسلمين بتلك الجهة التي ذاع صيتها وعرف الناس من جهدها وثباتها الشيء الكثير وهذا الاستاذ محمد السعيد الزاهري الذي أهدانا كتابه الجديد « الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير » جندي من جنود تلك الجمعية ومن خيرة العاملين فيها والساعين لانجاح غاياتها يدلنا بهذا الكتاب عن مقصده السامي في الدفاع عن الاسلام ومبلغ دعايته للدين الحنيف وتطهيره من دنس ما يلصقه به اعداء هذه الملة السمحاء .

عرفنا الزاهري شاعراً رقيقاً وكاتباً بليغاً واليوم يضيف الى هاتين الصفتين صفة ثالثة يحتاج اليها العصر الحديث تلك هي الكتابة باسلوب روائي جذاب وقد ظهرت هذه الميزة المعجبة في كتابه الجديد فأكبرنا فيه المقدرة الكاملة وباركنا لجارتنا الجزائر في كاتبها الطلي ومنشئها البليغ .

وقد نفذت الطبعة الاولى من هذا الكتاب المفيد مما اضطر صاحبه الى اعادة طبعه واضافة فصول اخرى اليه يروقك موضعها وتشوقك الى قراءتها المرات .

ونحن نشكر كاتبنا على هديته ونحمد له عاقبة مسعاه وندعو له بالتوفيق حتى يخرج لنا بقية مؤلفاته التي وعد بنشرها ونحض القراء على الاقبال ومطالعة ما تحرره يراعة هذا الكاتب البارع. (ويطلب من المؤلف صندوق البريد عدد ٥٥ وهران) (ع.)

* * *

[الثبات] جريدة اسبوعية سياسية يديرها الكاتب المقتدر الاستاذ محمد عبابسة الاخضري، نفس عال وحماسة ثابتة في نسج من الانشاء الفائق ، الامر الذي يحقق النجاح الذي نتمناه لرصيفتنا الغراء (نهج لالير رقم ٩ الجزائر ، وثمن الاشتراك ٤٥ فرنكا).

— الاعلانات القانونية —

وزارة الاحباس

في يوم الاربعاء ٢٥ يوليو سنة ١٩٣٤ موافق ١٢ ربيع الثاني عام ١٣٥٣ على الساعة العاشرة صباحاً وبنظارة احباس القرويين بفاس تقع سمسرة بالمزايدة لبيع ربع دار بدرب التواتيل عدد ٢٦ حومة شرشور بفاس وتبتدئ المزايدة من خمسة آلاف فرنك .

وللزيادة في الاسترشاد يخاطب ناظر احباس القرويين ووزارة الاحباس ومراقبة الاحباس بالادارة الشريفة .

— تاريخ التجارة العربية —

ذهب بعض الكوفيين الى الهند متجرين وأقاموا فيها وهم الذين سماهم الهنود باسم (الكوكل) تحريف الكوفة ، ولما ضرب الحجاج بن يوسف الثقفي على ايدي مناوئي بني مروان أجلى نفراً من قريش فذهبوا الى الهند بطريق البحر فسماهم أهلها باسم (النوائت) أي النوئية وانتشروا فيها وكانوا أساس الاسلامية في الهند .

ولما اضطرب حبل بني امية في دمشق بنى المنصور بغداد عاصمة تجارية له لان العاصمة الاولى كانت الكوفة ثم الهاشمية ثم الانبار وكل من هذه العواصم لم يكن مركزاً تجارياً بفضل اتخاذ بغداد ولما أرسل الرسل ليرتادوا عاصمة تجارية اختاروا محل بغداد قائلين له « هنا تجيئك الميرة من المغرب وطرائف مصر والشام عن طريق الفرات وتجيئك في السفن من الصين والهند عن طريق دجلة ، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والمواصل في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينا فما فوقها عن طريق الزاب وانت بين انهار لا يصل عدو اليك الا على جسر أو قنطرة ، فاذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لا يصل اليك عدوك وهو محتاج الى عبور دجلة والفرات وهما خندقان طبيعيان لبلدة أمير المؤمنين » فخططها المهندسون بالرماد وبناها .

وسنة ١٥٧ هـ (٧٧٣م) لما بنى المنصور بغداد جاءه رسول ملك الروم بعمارها فأرسل معه من أطافه بالمدينة حتى شاهد جميع هندستها واسواقها فلما عاد اليه قال له المنصور : « كيف رأيت هذا البناء ؟ » ، فقال الرسول : « بناء حسن واما اعدؤك لا يبرحون معك فقال المنصور: « ومن هم ؟ » قال له : « الاسواق لانه يجتمع بها سائر الدنيا » فأمر المنصور باخراج الاسواق الى ناحية الكوخ وغيره بناحية مدينة السلام (الزوراء) لانحراف قبلتها .

وهكذا بقيت بغداد مدينة تجارية للخلفاء العباسيين فارتقت بسياستها وعمرانها وكانت تجارة اوربة وروسية الى الهند بطريق بغداد الى أن نشات تجارة العرب في الاندلس فنازعت الشرق وقضت على بغداد ولا سيما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح وما بعده من الاكتشافات الجغرافية فكانت بغداد ممر التجارة براً تنتابها القوافل التجارية من الشرق والغرب الشمال والجنوب حاملة اليها اهم السلع وحاصلات البلاد وناقلة منها نتاج تلك البلاد وصناعتها وميناء البصرة مركز تجارة الشرق بحراً بل مرفا العراق الوحيد يحمل منه التاجر كل ما هنالك من حاصلات الهند والبحرين والصين والعجم .

وكانت الاشياء الثمينة في بغداد يتنافس فيها الباعة فان جوهريا في الكوخ ساومه يحيى البرمكي على سقط من الجوهر بمبلغ سبعة ملايين درهم وهو جزء مما في حانوته الغني فلم يبعه اياه .

واشتهر (آل الجصاص) تجار العراق بالمجوهرات الثمينة فكانوا من اكبر المتمولين في تلك الدولة فلذلك صادرهم الخليفة المقتدر بالله العباسي لما اخبوا ابن المعتز عندهم فغرمهم بنحو ستة عشر مليون دينار وذكر ابن الاثير تاجراً اسمه الشريف عمر كان دخله السنوي مليونين وخمس مائة الف درهم وكانت ثروة احد تجار المراكب في البصرة عشرين مليونا دينارا .

وكان دخل ابن عمار كل يوم الف دينار ويخرج منه صدقة كل يوم مائة دينار .

وكان الخليفة العباسي يهدد أهل الهند اذا قفلوا باب التجارة في وجه تجار بغداد والشام .

وقال الفضل بن يحيى البرمكي : « الناس أربع طبقات ملوك قدمهم الاستحقاق ووزراء فضلتهم الفطنة والرأي وعلية انهضهم اليسار وأواسط ألحقهم بهم التادب » .

وكان كثيرون يطوفون البلدان للتجارة قال المقري في نفح الطيب (٢ : ٨٢) : « ان علي بن بغداد من سلالة يحيى البرمكي قدم الاندلس تاجراً سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) »

وكثر السياح والرواد للتجارة في أعصر مختلفة حتى نسب كثيرون اكتشاف اميركا الى سياح العرب قبل كولمبوس ولا سيما الاخوة المغرورمن (الغروريم) الاندلسيين الذين ركبوا البحر الكبير وازدهرت تجارة الاندلس فنازعت الشرق واشتدت المنافسة بينهما .

فبعد أن كانت البضائع بين القرنين الثامن والحادي عشر تنقل من المدن الشرقية الى أوربا الشمالية بطريق نهر الفولغا Volga فخليج فنلنده فبريطانيا الى مدن أوربا تحولت في القرن الحادي عشر الى منطقة البحر الرومي المعروف بالمتوسط فاشتهرت بنقلها من مدن ايطاليا الى أوربا بطريق البندقية وجنوى .

وبهذه الاتصالات الدائمة في تجارة الامم بعضها ببعض جاء من اوربا كثيرون من التجار باسرهم الى بلادنا وتديروها كما سار من وطنيينا تجار وصناع الى تلك البلدان فسكنوها وتكاثروا فيها ولا تزال اسماء الفريقين ظاهرة في بقاياهم الى يومنا ، قال ابن فضلان الرحالة : « أن بلغاريا ورسيا كانوا يكرمون وفادة التجار عليهم الى حد أنهم كانوا عند استقبالهم ينثرون الدارهم تحت أقدامهم اشارة الى التاهيل والترحيب بهم ويبتهجون بقدومهم ابتهاجاً عظيماً » الى غير ذلك من الاقوال والاخبار .

« المقتطف »

كلوا الفواكه المغربية

فان الفواكه احسن معدلات لعوامل الهضم واكلها نافع للصحة

وقد انشأت ادارة الفلاحة «الطابع الوطني المغربي» المنشور على هاته الصفحة لتميز به الفواكه الجديدة عن غيرها.

فان وضع هذا الطابع على لفائف البضائع علامة على أنهـا جيدة



وفي ذلك ضمانة للمشتري وتسهيل لبيع الفواكه في الداخل والخارج

— استعملوا الفواكه المغربية —

Imp. Nouvelle - Rue de la Mamounia - RABAT - Le Gérant : Boubker ZNEBER